مينايف وفيودوروف

شعوب العالم في النضال
من اجل الاشتراكية

ميثايف وفيودوروف

شعوب العالم في النضال من اجل الاشتراكية

دار التقدم

موسكو

الفصل الاول

العصر الحديث

ان عصرنا هو عصر التقدم السريع في الميدان الاجتماعي والعلمي والتكنيكي ، عصر التحولات الكبرى في جميع حقول التطور للانسانية . ان الاشتراكية تحرز انتصارات جديدة وجديدة على النظام الرأسمالي . وتتطور في اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية حركة التحرر الوطني ، وتخرج على المسرح العالمي عشرات من الدول الجديدة ذات السيادة التي كانت منذ عهد قريب مستعمرة مسلوبة الحقوق . ويشتد نضـــال جماهير الشغيلة من اجل الحرية ، والتقدم المادي والثقافي ، وفي سبيل السلام .

وعصرنا في الوقت ذاته هو عصر أشد التناقضات حدة . ففي العالم يجري نضال بين قوى تمثل القديم والجديد . ان قوى الامبريالية والرجعية تقاوم بعناد وقسوة قوى تجديد العالم . وهي تهدد الانسانية بكارثة نووية ، وبدمار شامل ، وتسعى الى الحيلولة دون

استخدام منجزات العلم والتكنيك لخير الناس . والتباينات والتناقضات في العصر الراهن صارخة وفاجعة . في أسبوع واحد ، ولربما في يوم واحد ، كما لاحظ أحد الكتاب ، تحلق سفينة فضاء للابحاث العلمي مرسلة الى الزهرة ، ويُغتال بطل افريقيا باتريس لومومبا في غدر ، ينفذ أول انسان - مواطن من البلاد السوفييتية - الى الفضاء الكوني ، ويهجم اجراء الامبريالية على كوبا الثورية .

اذا انظرنا الى العالم الحديث وجدنا عدداً كبيراً من الاحداث المختلفة في طابعها أشد الاختلاف ، وتحولات لا نظير لها ، وانعطافات غير متوقعة في حياة الشعوب ، وفي السياسة العالمية .

فما هو السبيل الى فهم عصرنا ؟ وبأية وسيلة يمكن ان نقيّم طابعه بصدق ، تجنباً للحيرة أمام سيل الاحداث ، ودون الخطأ في السياسة ، ولكي نجد مكاننا في الكفاح من أجل التجديد الثوري للعالم ؟ ان هذا السبيل ، وهذه الوسيلة هي نظرية الاشتراكية العلمية المستندة على تجربة حركة التحرر العالمية . انها تقدم الأجوبة على اسئلة من مثل : في أي زمن نحن نعيش ، وما هو جوهر الفترة الراهنة لتطور المجتمع الانساني ، وماذا يحدد سير التطور الاجتماعي ، وأي مستقبل ينتظر الانسانية .

ان المحتوى الاساسي لعصرنا هو الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وعصرنا هو عصر صراع بين نظامين اجتماعيين متعارضين ، عصر الثورات الاشتراكية ، وثورات التحرر الوطني ، عصر انهيار الامبريالية ، والقضاء على نظام الحكم الاستعماري ، عصر انتقال عدد متزايد من الشعوب الى طريق الاشتراكية ، وانتصار الاشتراكية والشيوعية على نطاق العالم أجمع .

وهذا التعريف للعصر الذي قدمه الماركسيون-اللينينيون الأصلاء قائم على التحليل العميق للواقع ، والنتائج الرئيسية للتطور العالمي : الوضع المتأزم للرأسمالية الحديثة ، نجاحات الاشتراكية العالمية ، حركة التحرر الوطني ، الحركة الثورية للطبقة العاملة في الاقطار الرأسمالية .

أزمة الرأسمالية العالمية

ان العصر الحديث الحامل للانسانية التحرر لم يأت عفواً : ان العالم أصبح يغير مظهره نتيجة لكفاح بطولي للشغيلة ضد النظام الرأسمالي الاستغلالي ، لهذا الكفاح الذي تتحمل فيه الشغيلة ضحايا كثيرة .

ان الرأسمالية هي مضطهدة الجماهير الكادحة في

جميع الاقطار التي ما زالت تحت سلطتها . والرأسمالية هي نظام الفوضى الاقتصادية ، والبطالة المزمنة ، وفقر الجماهير ، والتبديد الضاري للقوى المنتجة ، النظام الذي يجلب دائماً خطر الحروب ـ تهديد البشرية كلها بالموت .

وفي القرون الماضية ولّدت الرأسمالية نظام الاضطهاد الاستعماري ، وقيدت في اصفاد العبودية غالبية البشر في اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . والرأسمالية هي الملومة في كون هذه القارات التي وقعت تحت الاستغلال الجشع تأخرت في تطورها عشرات ومئات السنين ، وفي ان شعوب الاقطار المستعبدة كانت محكومة بالعمل الشاق ، وبالفقر والجهل ، والبؤس والاوبئة ، وبظروف معيشة لا تتحمل . والرأسمالية مضطرة الآن الى التراجع ، إلا أن الامبرياليين حتى في ايامنا هذه يسعون بأساليب جديدة وبأشكال جديدة الى الاحتفاظ باستغلال الشعوب الاستعماري . وهم يستخدمون كل الوسائل (الحروب الاستعمارية ، التكتلات العسكرية ، المؤامرات ، الارهاب ، النشاط التخريبي ، الضغط الاقتصادي ، والرشوة) ليبقوا تحت سيطرتهم البلاد المتحررة ، وليجعلوا الاستقلال الذي كسبته استقلالاً اسمياً ، او

ليسلبوها استقلالها على العموم . وهم يعيقون التطور الصناعي والثقافي للاقطار المتحررة ، ويعرقلون تقدمها الاجتماعي والسياسي . لقد أصبحت الرأسمالية منذ زمن بعيد عقبة في طريق تطور الانسانية كلها ، وعدواً لجميع الشعوب .

ومنذ نهايـــة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين دخلت الرأسمالية في أعلى وآخـــر مرحلة لتطورها – مرحلة سيطرة الرأسمال الاحتكاري ، مرحلة الامبريالية . ومنذ ذلك الحين سار تطور الرأسمالية ويسير في طريق التركيز المتزايد لوسائل الانتــاج الاساسية في أيدي بعض اتحـــادات الرأسماليين الضخمـة . وتسمى هذه الاتحـــادات للرأسماليين بالاحتكارات كما هو معروف .

وفي ظـروف الامبريالية – المرحلـــة الاحتكارية للرأسماليـــة – يشتد التناقض الرئيسي في المجتمع الرأسمالي – **التناقض بين العمل والرأسمـــال** . فان الاحتكارات الرأسمالية في ركضها وراء أكبر الارباح تشدد ، بمساعدة الدولة البرجوازية ، ضغطها على الشغيلة ، وتسلبهم حقوقهم السياسية والاقتصادية المبتورة . والتشديد المطرد للظلم يدفع الشغيلة الى ان يستنتجوا ان الخلاص من الاضطهاد الرأسمالي لا يمكن

ان يتم إلا عن طريق التطويح الثـــوري بسلطـــة البرجوازية ، عن طريق الثورة الاشتراكية .

لقد أدت الامبريالية الى تعميق **التناقض بين الدول الرأسمالية ومختلف تكتلاتها** . واشتبك الرأسماليون في صراع فيما بينهم من أجل اعادة تقسيم عالم تم تقسيمه — من اجل المستعمرات ، من اجل اسواق لتصريف البضائع ، من اجل مصادر الخامات الرخيصة . وفي هذا تكمن اسباب الحروب الامبريالية التي حدثت في قرننا . إلا أن الصراع بين الدول الامبريالية ، والحروب فيما بينها ، وسلب اقطار لأقطار أخرى قد شددت أكثر كراهية الشغيلة للرأسمالية ، وأدت الى مزيد من الزعزعة في أسس الرأسمالية .

ان أساس النظام الرأسمالي هو استغلال الرأسمال للعمل . وفي مرحلة التطور الامبريالي للمجتمع البرجوازي يضاف الى استغلال الرأسمال للعمل استغلال برجوازية المتروبولات أي حفنة قليلة من الاقطار الرأسمالية المتطورة للغالبية الساحقة من البشرية — شعوب العالم المستعمر . ومن هنا ينشأ التناقض الاساسي الثالث للرأسمالية العالمية — **التناقض بين الاقطار المستعمرة والتابعة من جهـة وبين الدول الامبريالية من جهـة أخرى** . وهذا التناقض يشير الى أن انهيار الرأسمالية

ليس فقط نتيجة كفاح الطبقة العاملة ضد البرجوازية ومن اجل الاشتراكية ، بل ونتيجة النضال التحرري لشعوب المستعمرات المظلومة ضد النظام الاستعماري ، ومن اجل الاستقلال الوطني . لقد قال لينين في عام ١٩٢٠ : «لا بد للامبريالية العالمية من ان تسقط عندمـــا يتغلب الزخم الثوري للعمـــال المستثمرين والمظلومين في داخل كل بلد على مقاومة العناصر البرجوازيـــة الصغيرة وعلى نفوذ الاقلية الضئيلة من ارستوقراطية العمال ويوحدون ضغطهم الثوري مع الضغط الثوري لمئات الملايين من البشرية التي ظلت حتى اليوم خـــارج التاريخ ولم تكن تعتبر اكثر من عرضة له» * . ان الحركة العمالية الثورية العالمية وحركة التحرر الوطني لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تكتسح وتهدم الامبريالية مندمجة في تيار واحد . وان اتحاد هذه القوى هو الشرط الرئيسي للاطاحة الثورية بالامبريالية .

ان تفاقم كل هذه التناقضات الاساسية يفضي بالامبريالية الى هلاك محتوم . وقد أدى الى ازمة

---

* لينين . «حركة شعوب الشرق الوطنية التحريرية» ، الطبعة العربية ، موسكو ، ص ص ٣٦٢-٣٦٣ .

عامة للرأسمالية ، أي الى حالة من التدهور والانحلال قد تملكت الرأسمالية العالمية من الأساس حتى القمة : اقتصادها ونظام دولتها ، سياستها وثقافتها . والنظام الرأسمالي وقد هزته الأزمة العامة لم يعد في وسعه ان يحتفظ تحت سيطرته باقطار منفردة تنفصل عنه بالتتابع ، وتسير في طريق الاشتراكية .

ان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ــ١٩١٨) وانتصار ثورة اكتوبر في روسيا عام ١٩١٧ قد وضعا بداية لهذه الأزمة . فلم تعد الرأسمالية النظام الاجتماعي الشامل للعالم كله . انها رغم كل جهودها لم تستطع ان تعيق تكوين أول دولة اشتراكية في العالم ــ وهي الاتحاد السوفييتي . فقد صمدت هذه الدولة الجديدة لكل هجمات الاستعماريين : الحملات العسكرية ، والحصار الاقتصادي ، وحملات الافتراء التي لا تنتهي ، والتخريبات الايديولوجية . وقد أثبتت ديمومتها وقوتها التي لا تغلب . وفي تلك الظروف برزت **المرحلة الأولى** للأزمة العامة للرأسمالية .

كما وضعت ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى في روسيا البداية للمرحلة الراهنة . وصارت الاهمية التاريخية العالمية لهذا الحدث موضع اعتراف عام .

ومنذ ثورة اكتوبر أصبح التناقض الرئيسي في التطور الاجتماعي العالمي يظهر ليس فقط في النضال بين طبقتين ـ البرجوازية والبروليتاريا ، بل ايضا في النضال بين نظامين متعارضين ـ الاشتراكية والرأسمالية ـ على المسرح العالمي .

وفي مجرى الحرب العالمية الثانية ، والثورات الاشتراكية التي حدثت في عدد من اقطار أوروبا وآسيا تطورت **المرحلة الثانية** للأزمة العامة للرأسمالية . والآن لم تعد الرأسمالية النظام العالمي **الوحيد** القائم ، ذلك لأن الاشتراكية خرجت من نطاق قطر واحد ، وتكون الى جانب النظام العالمي للرأسمالية نظام اشتراكي عالمي .

في الخمسينيات دخلت الرأسمالية العالمية في **المرحلة الثالثة** الحالية للأزمة العامة . وأهم صفة لهذه المرحلة هي أنها قد تطورت في غير ما صلة بحرب عالمية ، بل في وضع المباراة والنضال بين النظامين ، في وقت يحدث فيه تغير متعاظم في تناسب القوى لصالح الاشتراكية ، وفي وقت لم تعد الرأسمالية فيه القوة المسيطرة المتفوقة في العالم .

وتنعكس المرحلة الراهنة للأزمة العامة للرأسمالية :
أولاً ، في أن بلداناً جديدة وجديدة تنسلخ من

الرأسماليــة ، وتضعف مواقع الامبريالية في مجرى المباراة الاقتصادية مع الاشتراكية ؛

ثانياً ، في انهيار النظام الاستعماري للامبريالية ، وفي النمو المطرد للكفاح التحرري لشعوب آسيـــا وافريقيا وامريكا اللاتينية ضد المستعمِرين ؛

ثالثاً ، في عملية تفاقم جميع تناقضات الامبريالية ، واشتداد الاضطراب الداخلي ، والتفسخ في الاقتصـاد الرأسمالي ، واشتداد النضال بين العمل والرأسمال ، واحتدام الأزمة العميقة للسياسة والايديولوجيـــة البرجوازيـة ، واشتداد الرجعية السياسيـة في كل الاتجاهات بشكل لا نظير له ، والرفض للحريـــات الديموقراطية البرجوازية .

وهكذا فان الأزمة العامة للنظام الرأسمالي ليست ظاهرة طارئة ولا مؤقتة ، بل علة مزمنة (دائمية) عضـــالا . ان الأزمة العامة هي فترة غروب وهلاك النظام العالمي للرأسمالية .

مشكلة الحرب والسلام
مشكلة عالمية رئيسية

إن الامبرياليين يريدون أن يجدوا المخرج من وضعهم الراهن عن طريق عسكرة الاقتصاد ، والركض

وراء التسلح ، وتكوين الاحلاف العسكرية العدوانية . إنهم يحاولون توحيد قواهم ليهددوا الاشتراكيــة العالمية سوية ؛ ان يقفوا ضد حركة التحرر الوطني المعادية للامبريالية والتي تقوم بها شعوب آسيــا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وأن يعرقلوا نيل الدول الفتية استقلالها الحقيقي ؛ وأن يخمدوا بجهود مشتركة النزعات الثورية في الاقطار الرأسمالية نفسها . ولهذا يوجد في العالم خطر كارثة حربية في وسعها أن تحول مراكز الحضارة العالمية الى خرائب . وازاء هذا الخطر تشغل البشرية كلها مسألة الحفاظ على السلام أكثر من أي وقت مضى .

ان الامبرياليين شنوا حربين عالميتين في حياة جيل واحد . فماذا كلفتا البشرية ؟ استمرت الحرب العالمية الأولى من تموز (يوليو) ١٩١٤ الى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، أي أربعة اعوام وثلاثة أشهر ونصفاً . وقد دعت الاطراف المتحاربة ٧٠ مليون شخص الى حمل السلاح منتزعة اياهم من أعمالهم وعوائلهم . وقتل ١٠ ملايين وجرح ٢٠ مليوناً من الناس . واستمرت الحرب العالمية الثانية ٦ سنوات (من ١٩٣٩ـ١٩٤٥) . وقد جند في الجيوش ١١٠ ملايين شخص . وتحملت الشعوب ضحايا لا مثيل

لها : قتل ما لا يقل عن ٤٠ مليوناً في الجبهات وفي المؤخرة من جراء القصف الجوي ، وتعذيب فصائل التنكيل الفاشية . كما أن عشرات الملايين من الناس شوهوا بسبب الجروح والعذابات التي لاقوها في الأسر الفاشي . وهدمت اقطار بكاملها ، وخربت مئات المدن ، وعشرات آلاف من القرى ، وتحولت الى رماد اعظم القيم المادية والثقافية التي خلقتها الانسانية خلال قرون .

هذا هو الثمن الرهيب الذي دفعته الانسانية من جراء السياسة العدوانية للامبريالية . وقد بلغت النفقات على الحروب والاستعداد لها في النصف الاول من القرن العشرين في جميع انحاء العالم اكثر من ٤ تريليونات دولار . ان هذه الاموال تكفي لاطعام جميع سكان كوكبنا بالخبز مجاناً لمدة نصف قرن ، او لبناء مساكن كاملة المرافق لـ ٥٠٠ مليون عائلة ، أي لثلثي البشرية !

وفي الوقت الحاضر تجبر الامبريالية الانسانية على ان تنفق سنوياً للاغراض العسكرية ما لا يقل عن ١٢٠ مليار دولار . فلو وجه خمس هذا المبلغ فقط لتقديم المعونة للاقطار الضعيفة التطور اقتصادياً لكان في الامكان خلال ٢٥ عاماً ان تبنى في هذه الاقطار

محطات كهربائية قوتهـا الاجمالية ٢٣٠ مليون كيلوواط ، وانشاء مصانع تعدينية تصهر في كل عام ١٨٥ مليون طن من الفولاذ ، وارواء اكثر من ١٠٠ مليون هكتار من الارض ، وتحقيق كثير من الاشياء النافعة لتحسين حياة الناس .

ان الحربين العالميتين كما -تبين آنفاً ، أهلكت عشرات الملايين من النفوس الانسانية . فلو اندلعت حرب عالميـة جديدة لجرت الى استعمـال السلاح الصاروخي النووي ولكان في ذلك هلاك مئات الملايين من الناس ، وتخريب دول وقارات بكاملها . فمن المعلوم ان انفجار قنبلة نووية جبارة واحدة فقط يفوق بقوته قوة انفجـار جميع المتفجرات التي استخدمت في جميع الحروب الماضية .

ولكن هل من المعقول ان الحروب وسفك الدماء قضاء محتوم على الشعوب ؟ أحقاً لا يمكن حل القضايا الدولية المتنازع عليهـا دون اصطدامات حربية ؟ أحقاً لا يمكن تجنب حرب نووية عالمية ؟ أحقـاً لا يمكن الوصول الى سلم وطيد في ظروف وجود الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ؟

نعم ، ان حرباً نووية عالمية يجب ويمكن تجنبها ؛ والقضايا المتنازع عليها التي تنشأ بين الدول يمكن

ان تحل بنجاح بوسائل سلمية ، ويمكن تأمين سلم وطيد ، وتعـاون سلمي بين الاقطـــار ذات الانظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة .

هناك ضمان أكيد لتجنب حرب نووية عالمية الا وهو القوى المتلاحمة للسلام والتقدم والديموقراطية والاشتراكية .

وقوى السلام الآن أكثر جبروتاً من أي وقت مضى . ولا يقوم ايمان انصار الاشتراكية العلمية بامكانية تجنب حرب عالمية على الظنون بأن الامبريالية قد غيرت طابعها ، وأصبحت أكثر تعلقاً بالسلام ، بل على التفوق المتعاظم لقوى السلام . فلو كان كل شيء في العالم متوقفاً على الامبريالية لوجب الاعتراف بأن الحروب محتومة ولا مناص منها ما دامت الامبريالية موجودة . إلا انه لا يمكن في عصرنا تقييم العمليات العالمية الاقتصادية والسياسية بشكل صحيح بالانطلاق فقط من قوانين الرأسمالية نفسها . ففي العالم يوجد الآن نظامان اجتماعيان ؛ النظام الاشتراكي المتقدم الجديد يؤثر أكثر فأكثر في التطور العالمي . ومع تعزيز متانة النظام الاشتراكي ، ونمو جميع القوى المحبة للسلام تنمـــو وستنمو الامكانية الواقعية لتجنب الحروب .

وللاشتراكية من القوى ما . تستطيع ان تنتصر به على الامبريالية في ظروف التعايش السلمي . وسلاحها الرئيسي في هذا النضال تفوق النظام الاشتراكي للاقتصاد ، وأفضلية الديموقراطية الاشتراكية ، والثقافة الروحية . ان السلام هو الحليف الصادق للاشتراكية لأن الزمن يعمل لصالح الاشتراكية وضد الرأسمالية .

والتعايش السلمي هو تعايش وتعاون الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، ولكنه لا يعني نبذ النضال الطبقي . فان التعايش السلمي نفسه هو شكل من النضال الطبقي بين الاشتراكية الظافرة والرأسمالية الهرمة على المسرح العالمي ، النضال الحاد غير القابل للتوفيق والذي ستكون نتيجته النهائية الانتصار الطبيعي للنظام الجديد في الأرض كلها .

ان النضال من اجل التعايش السلمي لا يقيد ، بل بالعكس ، يفتح المجال واسعاً لأكثر أعمال الشغيلة تنوعاً في الدفاع عن مصالحهم الطبقية ، والحرية والاستقلال الوطنيين ، ومن اجل خلع نير الامبريالية والاستعمار ، وفي سبيل الدفاع عن السلام .

ولا يقتضي التعايش السلمي ان تنبذ هذه الدولة او تلك النظم الاجتماعية والايديولوجية التي درجت عليها . وهو لا يتسامح بتدخل المستعمرين في شؤون

شعوب البلدان الأخرى ، ويضع العقبة دون التجاوز على حرية واستقلال الشعوب . وفي ظروف التعايش السلمي تتعزز مواقع النظام العالمي للاشتراكية . وتخلق امكانيات أكثر صلاحية للنضال التحرري للطبقة العاملة في الاقطار الرأسمالية . ويسهل نضال شعوب الاقطار المستعمرة والتابعة من اجل القضاء التام بأسرع وقت على النظام الاستعماري ، ومن اجل تعزيز الاستقلال الوطني ، والنهوض في الاقتصاد والثقافة .

ان سياسة التعايش السلمي ، مهما تكن الجهة التي نظرت منها ، تستجيب لمصالح الغالبية الساحقة للانسانية .

وتقف الى صف السلام كثير من اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية التي تخلصت من النير الامبريالي وسارت في طريق انتهاج سياسة وطنية مستقلة . وتجد شعوب الاقطار المتحررة مصلحة في الكفاح ضد خطط العدوان العسكري للامبريالية ، وضد الركض وراء التسلح ليس فقط لأن تجارب الاسلحة النووية يهدد حياتها وصحتها ، وليس فقط لأن اي قطر لا يستطيع ان يعتبر نفسه في منجى من آثار كارثة نووية عالمية . ان أية ضربة توجه

للعسكرية انما هي ضربة موجهة للقوى والوسائل التي يريد الاستعمار بواسطتها ان يحتفظ او يعيد سيطرته على شعوب العالم المستعمر سابقاً . وتستخدم الامبريالية جيوشها لقمع النضال الوطني التحرري وتهدد حرية الشعوب التي ظفرت باستقلالهـا السياسي . وعلاوة عن ذلك فان نزع السلاح العام الشامل من شأنه ان يعزز الاستقلال الاقتصادي للدول الحديثة ، ويخلق الظروف لتطور أسرع لها . فاذا خفضت الدول الكبرى أو ألغت النفقات العسكرية لاستطاعت القوى التقدمية لعصرنا وأعمالها الدائبة والموحدة ان تجبر الدول الاستعمارية على ان تخصص جزءاً من الاموال المطلقة لمساعدة البلدان الضعيفة اقتصادياً ، وتجبر المستعمِرين على ان ينفذوا التزاماتهم ازاء الشعوب التي حصلوا على حسابها خلال قرون على اربـاح خيالية . واذا قضيت على العبء العسكري لتمكنت الاقطار الاشتراكية من مضاعفة مساعدتها النزيهة الفعالة للدول الفتية . وهكذا فان ازالة سوط الانسانية الرهيب – الحرب – يساعد على القضاء التام والنهائي على المجاعة والفقر في جميع العالم .

يعيش في الاقطار الاشتراكية أكثر من مليار انسان .

وهم يؤلفون مع شعوب الاقطار المحبة للسلام في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اغلبية الانسانية .

وفي الاقطار الاستعمارية نفسها يكره الشغيلة الحرب ، ويتعطشون الى السلم . ان الاستعداد للحرب ونمو العسكرية يعنيـــان نمو تأثير وتعزيز سلطة الاوساط العسكرية في الاقطار الرأسمالية — الاوساط التي تضمر الكراهية الفظة للديموقراطية ، ولجماهير الكادحين ، وتتمسك بافكار الشوفينيـــة ، والميل الى اقامة الانظمة الديكتاتورية ، واجبار الشعوب قسراً على الاذعان لمشاريعها العسكرية وخططها العدوانية . وتستخدم الاوساط الحاكمة ظرف الهستيريا العسكرية في الاقطار الرأسمالية لكي تجعل نضال الشغيلة من اجل تحسين ظروف العمل والحياة صعباً او مستحيلاً كلياً .

ان النظام الاجتماعي الذي يسعى الى اطالة وجوده عن طريق الركض وراء التسلح والاستعداد لحرب نووية حرارية عالمية لا يمكن ان يعتمد على تأييد الشعوب . ازاء التهديد بكارثة تتسع في كل مكان حركة جماهيرية لا مثيل لهـــا للدفاع عن السلام ، توحدها الاهداف النبيلة لتخليص البشرية من حريق حربي عالمي .

ان شغيلة جميع الاقطار يزدادون اقتناعاً بان الاشتراكية نقيض الرأسمالية تماماً ، وانها أعدل نظام شعبي أصيل وأكثر انسانية . ان الاشتراكية هي العدو اللدود لحروب الاستيلاء وظلم الانسان للانسان . وهي تحمل للانسانية الخلاص من التفاوت الاجتماعي ، ومن جميع اشكال الظلم والاستغلال ، ومن فظائع الحرب .

وقد تنبهت الى الحياة السياسية المستقلة جماهير شعبية واسعة تصبح اليوم الخالقة الواعية النشيطة لتاريخ العالم . وتنهض مئات الملايين من الناس من مختلف المعتقدات السياسية والدينية للنضال من اجل السلام والديموقراطية وضد الاستغلال الطبقي والقومي . وقد أصبح التطور الثوري المفضي بالبشرية الى الاشتراكية يشمل كل شيء .

ان القوى الثورية الرئيسية الثلاث تهز في عصرنا الامبريالية العالمية : الشعوب البانية للاشتراكية والشيوعية ، والحركة الثورية العالمية للطبقة العاملة ، وحركة التحرر الوطني لشعوب الاقطار المستعمرة والتابعة .

وطابع وأهمية أهم الاحداث في عصرنا يكمنان في ان هذه الاحداث تمس مصير جميع الشعوب ، والبشرية جمعاء . لم تعد هناك اقطار او قارات معزولة . وكل قوة من القوى الثورية العالمية الرئيسية الثلاث ـ شغيلة الاقطار الاشتراكية ، وحركة التحرر الوطني ، وبروليتاريا الاقطار الرأسمالية المتطورة ـ تحل مهماتها الواقعية بنضالها في جبهتها الثورية ، وفي الوقت نفسه تحل المهمة الاممية الموحدة ـ التطويح بالامبريالية العالمية ، والوصول الى الهدف النهائي إلا وهو انتصار الاشتراكية في الأرض كلها . وفي ذلك يظهر التضامن العالمي العالي للطبقة العاملة وجميع قوى التحرر في العالم .

وتنمو القوى المناهضة للامبريالية ، ويقدم بعضها لبعض التأييد ، وتتلاحم أكثر فأكثر . يا عمال العالم ويا أيتها الشعوب المظلومة اتحدوا ! ان ذلك نداء كفاحي يوحد اليوم ملايين وملايين الشغيلة في جميع الاقطار والقارات .

وقد جاء عصرنا فعلاً بتحولات هائلة ، إلا ان النضال ما يزال بعيداً عن نهايته ، وعملية التجديد الثوري العالمي في ذروة احتدامها . ان اكمال هذه العملية ، وانتقال الانسانية كلها من الرأسمالية الى

الاشتراكية في جميع العالم هما محتوى العقود القريبة من السنين . ان الثورة الاشتراكية تنضج في مختلف الاقطار في مختلف الاوقات . وعصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية هو عصر الانسلاخ المتوالي للاقطار المختلفة من النظام الرأسمالي ، وسيرها في طريق التطور الاشتراكي .

وستكون العقود القريبة من السنين زمن انتصارات وأفراح ، ومصاعب وهموم ، ونضال محتدم ، وجهود لا تنقطع . إلا ان قيود العالم القديم تضعف في كل عام ، وفي كل عام يزداد اهتزاز الارض تحت قدمي الاستعمار . ان مُثُل السلام في العالم كله ، واخوة الشعوب وصداقتها ، والمساواة العامة ، والحرية والسعادة انما هي واقع الغد للانسانية كلها .

الفصل الثاني

النظام الاشتراكي العالمي

الاقطار الاشتراكية

في عام ١٩١٧ حدثت ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى في روسيا . ولأول مرة في التاريخ شيدت الجماهير المظلومة سلطتها الشعبية ، سلطة العمال والفلاحين ، وشيدت دولتها في أوسع قطر في الكرة الارضية من حيث المساحة (زهاء سدس اليابسة) في قطر من أكبر اقطار العالم من حيث السكان .

ومع ذلك فخلال ربع قرن وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن النظام الاشتراكي قائماً إلا في الاتحاد السوفييتي . وفي جمهورية منغوليا الشعبية الملاصقة للحدود الجنوبية الشرقية للاتحاد السوفييتي ، والقليلة السكان انتصرت في بداية العقد الثالث الثورة الشعبية التحررية ، ثم سارت منغوليا بمساعدة الاتحاد السوفييتي الشاملة في طريق التطور غير الرأسمالية . أما في بقية العالم فقد كانت الرأسمالية سائدة .

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت على المسرح العالمي تحولات جذرية . فقد كان على الرأسمالية ان تتقهقر في الغرب وفي الشرق .

لقد ظن المستعمرون انهم سيوفقون في مجرى الحرب إن لم يكن في القضاء على الاتحاد السوفييتي ففي اضعافه كثيراً على أي تقدير ، وكذلك في قمع الحركة العمالية والديموقراطية العالمية . إلا ان تقديرات اعداء الاشتراكية قد باءت بالفشل بفضل انتصار الشعب السوفييتي على قوات الفاشية .

وخرج اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية من الحرب أكثر متانة وقوة رغم الخسائر والتدميرات الكثيرة التي سببها له غزو العدو . وتعاظمت بشكل لا يقاس مكانة أول بلاد اشتراكية في العالم وتأثيرها في الاحداث الدولية .

وحتى في زمن الحرب خاضت شعوب أوروبا نضالاً عنيداً ضد السيطرة الهتلرية . وبعد أن طرد الجيش السوفييتي المحتلين الالمان الفاشيين من أراضيه ومضى يحرر الدول الأخرى ، نهض شغيلة اقطار عديدة ضد الرأسماليين واصحاب الاطيان الذين تعاونوا ، في الغالب ، مع الهتلريين زمن الاحتلال .

وقضت شعوب بولنده وتشيكوسلوفاكيا

ويوغوسلافيا ، وهنغاريا ، ورومانيا ، وبلغاريا والبانيا بطريق ثوري على سيطرة المستغلين ، وأخذت السلطة بايديها . وتوطد في هذه الاقطار نظام الديموقراطية الشعبية . وفي عام ١٩٤٩ تشكلت على اراضي المانيا الشرقية جمهورية المانيا الديموقراطية التي اعلنت ان هدفها هو بناء مجتمع اشتراكي .

وحدثت تغيرات كبيرة في آسيا . فانتصار الشعب الصيني كان حدثاً تاريخياً عظيماً . فقد قام هذا الشعب بثورة شعبية ، ونفض عنه نير المستعمرين الاجانب والمستغلين المحليين ، وسار في طريق البناء الاشتراكي .

وبعد ان طردت القوات السوفييتية المستعمرين اليابانيين من كوريا الشمالية عام ١٩٤٥ جرت تحولات ديموقراطية جذرية هناك . وتألفت في سبتمبر (ايلول) عام ١٩٤٨ جمهورية كوريا الشعبية الديموقراطية .

وحدثت تغيرات جبارة في الفيتنام . لقد كانت الفيتنام حتى الحرب العالمية الثانية مستعمرة فرنسية ، وفي زمن الحرب استولى عليها المستعمرون اليابانيون . وناضلت القوى الوطنية في استماتة ضد المحتلين ، وبعد ان طردتهم في سبتمبر (ايلول)عام ١٩٤٥ تشكلت جمهورية الفيتنام الديموقراطية . إلا ان الشعب الفيتنامي قد اضطر حتى عام ١٩٥٣ الى خوض

حرب قاسية دامية ضد «اسياده» المستعمرين القدامى . ثم أخذت الولايات المتحدة الامريكية تدخل في الحرب الاجرامية ضد الشعب الفيتنامي أعمق فأعمق . ويدافع الشعب الفيتنامي عن استقلاله ، وحقه في التطور المستقل ، وفي الوقت ذاته يدافع عن القضية العامة لجميع الشعوب المتحررة . وتعطف القوى التقدمية في جميع العالم بشدة على النضال المتفاني للفيتناميين ضد البربرية الاستعمارية .

اذا كان من نصيب العالم الاشتراكي حتى الحرب العالمية الثانية زهاء ٨ بالمائة من سكان العالم ونحو ١٦ بالمائة من مساحة الكرة الارضية ، فانه في الوقت الحاضر يضم زهاء ٣٥ بالمائة من السكان وأكثر من ربع اليابسة . ان عملية التطور التي لا تقهر للاشتراكية العالمية تنتزع من قيود العبودية الامبريالية اقطاراً وشعوباً متزايدة . لقد ظهرت الرأسمالية عاجزة عن اعاقة خروج الاشتراكية من اطار قطر واحد ، وتحولها الى نظام عالمي .

ان النظام العالمي للاشتراكية هو طراز جديد للعلاقات بين البلدان ، تعاون اجتماعي واقتصادي وسياسي لشعوب حرة ذات سيادة سائرة في طريق الاشتراكية والشيوعية ، توحدها وحدة المصالح

والاهداف ، والروابط الوثيقة للتضـامن الاشتراكي العالمي .

وفي عصرنا ، في ظرف الضعف الحاد للامبريالية ، وفي ظروف تغير ميزان القوى في العالم لصالح الاشتراكية أصبح الانتقال الى الطريق غير الرأسمالي للتطور ، الطريق الى الاشتراكية ممكناً في أي قطر بما في ذلك أكثر الاقطار تخلفاً . فان انتصار الثورة في كوبا منذ أمد وجيز أتاح للشعب الكوبي الشروع في تغييرات اشتراكية . وتعلن شعوب أخرى وأخرى من اقطار آسيا وافريقيا عن عزمها على بناء حياتها على أسس اشتراكية . وهذا دليل على ان الطريق الرئيسي الذي تسير فيه الانسانية قد تحدد بشكل واضح للغاية في زمننا . ان هذا الطريق هو الاشتراكية . وقد اختار حزب الاتحاد السوداني لمالي الاشتراكية بحزم .

وتتميز الاقطار الاشتراكية بعضها عن بعض بحجم اراضيها ، وعدد سكانها ، وبدرجة تطور اقتصادها ، وبمواردها الطبيعية . ولكل منها تقاليده التاريخية ، وثقافته الوطنية ، وهيئات سلطة الدولة ، ودستوره ، ولكن ازاء هذه الاختلافات تتصف جميع الاقطـــار الاشتراكية بملامح عامة تقربها وتآخي بينها . انها قبل كل شيء الطبيعة الطبقية الواحدة لنظامهـــا

الاجتماعي والاقتصادي ، وسلطة دولتها ، ونضالها المشترك من اجل بناء الاشتراكية . ان وسائل الانتاج الاساسية في اقطـار الاشتراكية ـ المعامل والمصانع والمناجم ، والمحطـات الكهربائية ، والبنوك والنقل وبطون الارض ـ هي ملك للشعب وتخدم مصالحه . والدولة توجه النشاط الاقتصادي بشكل مخطط . وفي الغالبية الساحقة من الاقطار الاشتراكية لا توجد طبقات مستغِلـة . ويعمل الشغيلة لانفسهم ولخير اطفالهم . وللاقطار الاشتراكية هدف عام هو بنـاء مجتمع جديد عادل حر سعيد كتب على رايته : «من كل حسب كفاءاته ولكل حسب حاجاته» .

بناء حياة جديدة

ان جميع الاقطار الاشتراكية تقريباً لم تكن حتى انتصار الثورات الاشتراكية فيها متطورة من الناحية الاقتصادية . وقد ورثت الاشتراكية في هذه الاقطار من النظام الاستغلالي صناعة ضعيفة وغاية في التخلف ، وانتاجاً زراعيـاً بدائياً ، ومستوى حياتياً واطئـاً للشغيلة وفقراً عاشت فيه شعوب بكاملها ، وتأخراً ثقافياً ، وأمية لغالبية هائلة من السكان ، وفقراً

كاملاً تقريباً لوقاية الصحة العامة . لقد كانت الظروف التي بدأت فيها الاشتراكية تطورها التاريخي غير ملائمة للغاية ، وقاسية للغاية . وكان يجب تجنيد جميع قوى الشعب في الاقطار التي سارت في طريق الاشتراكية كيما يتحقق التصنيع في وقت قصير ، ويُقهر التخلف الاقتصادي والثقافي ، ويُلحق بالاقطار الرأسمالية العالية التطور . ان هذا التخلف استمر عقوداً من السنين بل وقروناً كاملة .

وقد بنى شعب الاتحـــاد السوفييتي الاشتراكية بظروف قاسية بشكل خاص . حقاً لقد كانت موجودة في هذه البلاد قبل انتصار ثورة أكتوبر مدن كبيرة ذات صناعة متطورة ، ومناطق صناعية كبيرة ، إلا ان هذه المناطق لم تكن في رحاب هذه البلاد الشاسعة إلا جزراً وسط بحر من التخلف والامية لا سواحل له .

وفضلاً عن ذلك حدثت ثورة أكتوبر في روسيا في السنة الرابعة من حرب عالمية شنها امبرياليو جميع الاقطار . وقد أضرت الحرب باقتصاد روسيا ضرراً شديداً ، وقتلت في الجبهات او شوهت ملايين عديدة من الناس ، وأقفرت مقاطعات واسعة وبالرغم من ان سلطة العمال والفلاحين الجديدة في روسيا قد دعت جميع الدول بعد انتصار ثورة أكتوبر الى السلام

2*

إلا ان امبرياليي جميع الاقطار لم يريدوا القبول بوجود الجمهورية السوفييتية ، وقرروا القضاء على السلطة السوفييتية ، واعادة نظام البرجوازيين واصحـــاب الاطيان الى روسيـــا . وساعدت حكومات المانيـــا والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا واليابان ودول أخرى الطبقات المستغلة المطوح بها في روسيا على ان تشن حرباً اهلية دامية ، بل وان هذه الحكومات نفسها ارسلت قواتها ضد عمال وفلاحي روسيا («زحف الدول الاربع عشرة») . وقد استمرت الحرب القاسية التي فرضها على روسيا الجديدة المستعمرون والمعادون للثورة في الداخل ثلاثة اعوام . لقد عذبوا جمهورية العمال والفلاحين الجائعة الممزقة ثلاثة اعوام . ومع ذلك فان الشعب السوفييتي دافع عن حرية واستقلال دولته التي هي اول دولة اشتراكية في العالم .

وحين طرد السوفييتيون في عام ١٩٢١ الاعداء من اراضيهم وشرعوا تحت قيـــادة لينين والحزب الشيوعي في البناء السلمي ، كان حجم الانتاج الصناعي في البلاد قد انخفض خمس مرات بالقياس الى عام ١٩١٣ . وقد كان ذلك نتيجة للخراب الاقتصادي الذي سببته حرب ١٩١٤–١٩١٨ العالمية ، والحرب الاهلية والتدخل المسلح للدول الرأسمالية . في عام

١٩١٣ كان نصيب روسيا من الانتاج الصناعي العالمي ٤ بالمائة ، بينما صار في عام ١٩٢٠ اقل من ١ بالمائة . ومع ذلك فان شعوب الاتحاد السوفييتي استطاعت مستفيدة من تفوق النظام الاشتراكي ، ان تتغلب على مصاعب الترميم الهائلة ، وتحقق تصنيعاً اشتراكياً وتحويلاً اشتراكياً للزراعة . كانت حصة صناعة الاتحاد السوفييتي قبيل الحرب العالمية الثانية ١٠ بالمائة من الانتاج الصناعي العالمي كله . وقد سبب هجوم المانيا الهتلرية والدول الفاشية الأخرى على الاتحاد السوفييتي تدميرات لا سابق لهـا ، وتطلبت من الشعب السوفييتي أعظم التضحيـات وتشديداً لكل القوى . ولكن بالرغم من ذلك ، أحرز الشعب السوفييتي بعد الحرب نجاحات هائلة جديدة ، واليوم تقدم الصناعة السوفييتية أكثر من ٢٠ بالمائة من الانتاج الصناعي العالمي . وفي هذا الصدد يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار ان الانتاج الصناعي العالمي نفسه قد ازداد منذ عام ١٩١٣ عدة مرات .

كانت روسيا القيصرية حتى الحرب العالمية الأولى تحتل المكان الخامس في العالم من حيث الانتاج الصناعي (بعد الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا وفرنسا) . وكانت تنازعها في هذا المكان الخامس بلجيكا الصغيرة

وكذلك اليابان وايطاليا وكندا التي كانت قد بدأت تطورها الصناعي من توها . والآن يحتل الاتحـــاد السوفييتي في حجم انتاج المنتجات الصناعية المكان الثاني في العالم (بعد الولايات المتحدة) . وهو وحده الآن ينتج من المنتجات الصناعية ما يزيد عما تنتجه انجلترا وفرانسا وايطاليا وكندا واليابـــان وبلجيكا وهولنده مجتمعة .

ان الاتحاد السوفييتي الذي كان من قبل بلاداً زراعية متخلفة قد تحول الى دولة صناعية جبارة ، وحقق استقلالاً اقتصادياً تاماً عن الاقطار الرأسمالية . وقد خلق الشعب السوفييتي في المدة التي انقضت على ثورة أكتوبر ، أي اقل من نصف قرن ، من القوى المنتجة والثروات المادية والقيم الروحية والثقافية أكثر بعدة مرات مما خلقته جميع اجيال الشعوب الساكنة في اراضي الاتحاد السوفييتي . وبنى اقتصاده الجبار ليس على حساب الآخرين بل بعمله الذاتي ، وعلى أسس ثابتة عادلة . وكدح زمناً طويلاً في الحصار المعادي ، ولم يكن في وسعه ان يتلقى أية مساعدة من الشعوب الأخرى ، وليس هذا فحسب بل كان عليه ان يخصص كثيراً من القوى والأموال لتعزيز قدرته الدفاعية لان المستعمرين هددوا دائماً بالهجوم عليه .

وفضلاً عن ذلك كان الشعب السوفييتي مضطراً الى قضاء سنين عديدة في النضال ضد العدوان المسلح للامبرياليين ، ثم في ترميم الاقتصـــاد الذي دمره المعتدون . وقد أحرز الشعب السوفييتي ما في حوزته الآن بفضل الثورة الاشتراكية والبنـــاء الاشتراكي ، وبفضل خروجه من قيود النظام الرأسمالي الاستغلالية للاقتصاد العالمي .

لقد بنت الاقطار الرأسمالية صناعتها الضخمة بدرجة رئيسية على حساب استغلال شغيلة بلدانها استغلالاً قاسياً والنهب الفظ للشعوب المستعمَرة ، والغنائم العسكرية .

ولم يكن في وسع دولة العمال والفلاحين ان تسلك طريقاً من هذه الطرق . انها سارت في طريق تعبئة احتياطاتها الداخلية .

وقد أممت في الاتحاد السوفييتي المشاريع الصناعية المهمة ، والنقليات ، وما في بطون الارض ، وأصبحت الدولة ، بهذه الطريقة ، صاحبة السيادة التامة على اقتصاد البلاد . وأستخدمت لاغراض التصنيع ، قبل كل شيء ، أرباح المشاريع التابعة للدولة والبنوك والتجـارة الداخلية والخارجية . وحررت السلطـــة السوفييتية البلاد من المدفوعات الباهظة للقروض

الخارجية التي كان الشغيلة يدفعونها في عهد الحكومة القيصرية . وفقد الرأسماليـون الاجانب بعد ثورة أكتوبر مواقعهم الاقتصادية في الاتحاد السوفييتي ، ولم يكن في وسعهم بعد ذلك الحين ان يربحوا على حساب شعوب هذه البلاد . وتحقق تحالف متين بين الطبقة العاملة والفلاحين في الاتحاد السوفييتي . وبعد الغاء ملكية أصحاب الاطيان للارض أزيح عن كاهل الفلاحين العبء الثقيل لدفع بدل استئجار وشراء الارض من اصحاب الاطيان . والآن استطاعوا بعملهم ووسائلهم المادية ان يساعدوا الدولة في بناء الصناعة . وطبق في البلاد أدق نظام توفير ، وأوجدت في الاقتصاد الوطني مصادر لموارد اضافية .

ان تصنيع الاتحاد السوفييتي هو عمل بطولي للطبقة العاملة ، ولجميع الشعب الذي لم يبخل بقوة ولا بمال ، وتحمل الحرمان عن وعي ليخلص البلاد من التخلف . ومع ذلك فان الشعب السوفييتي الذي تحرر من المستغلين أحرز منذ البداية تقدماً مادياً وروحياً كبيراً بالقياس الى ازمنة ما قبل الثورة . فمنذ السنوات الأولى من عمر السلطة السوفييتية أقيم يوم عمل لثماني ساعات ، وطبقت الاجازات المدفوعة الأجور ، ونظام واسع للضمان الاجتماعي للعمـال

والمستخدمين ، ورفعت الأجور . ومع بداية التصنيع الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي قضي نهائياً على البطالة واكتسب الشغيلة ثقة بالغد .

ان اعادة تنظيم الزراعة هي شرط ضروري لبناء الاشتراكية . وقد أدى خلق الاستثمارات الاشتراكية الضخمة المسلحة بالتكنيك الحديث الى انتصار العلاقات الاشتراكية في الريف ، وشمل النظام الاشتراكي جميع الاقتصاد الوطني . وقضي نتيجة لذلك على الفروق الطبقية في الريف ، وسار الفلاحون السوفييتيون في اعداد متزايدة في طريق الاشتراكية ، واخذوا يقتربون أكثر فأكثر من الطبقة العاملة .

وسوية مع اعادة تنظيم الاقتصاد وانشاء نظام اشتراكي للزراعة في الاتحاد السوفييتي اتسعت ثورة ثقافية . ان المستوى العالي في العلم والثقافة هو أحد المعالم الراسخة للمجتمع الاشتراكي . وخلال مدة قصيرة قطع الاتحاد السوفييتي في البناء الثقافي كما هو في الاقتصاد شوطاً هائلاً . فحتى الثورة كانت نسبة الأميين بين من بلغوا التاسعة من العمر او أكبر ٧٦ بالمائة من السكان ، وبين النساء ٨٨ بالمائة . وكان سكان اقاليم القوميات المضطهدة في روسيا القيصرية أميين كلياً تقريباً .

لم يبخل الحزب الشيوعي والسلطة السوفييتية بقوة ولا بمال للنمو الثقافي السريع للشعب . وانشئت في الاتحاد السوفييتي شبكة واسعة من مدارس التعليم العام والخاص ، والمؤسسات التعليمية العالية تدرس باللغة الروسية او لغات القوميات الأخرى . وفُتح امام اطفال الشغيلة طريق واسع نحو العلم والتعليم . ويسّر التعليم المجاني ونظام الاعانات الدراسية التعليم لجميع الشغيلة . وقضي بالتدريج على الأمية بين جميع السكان الراشدين .

وقد ساعد ادخال أحدث الآلات والاجهزة في جميع حقول الاقتصاد الوطني على النمو السريع في المستوى الثقافي والتكنيكي للشغيلة . ونظمت في المشاريع والكولخوزات والسوفخوزات دراسة انتاجية تكنيكية . وأصبح الملايين من العمال والكولخوزيين يدرسون في مختلف الدورات ويكتسبون اختصاصات جديدة ، ويرفعون من كفاءتهم الانتاجية . وقد أعدت في اعوام البناء الاشتراكي كوادر رائعة من الاخصائيين لجميع فروع الاقتصاد الوطني والعلم والثقافة . ونما في كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفييتي مثقفوها .

في نهاية مشروع السنوات الخمس الثاني في الاتحاد السوفييتي (١٩٣٣-١٩٣٧) بنيت الاشتراكية من حيث الأساس . وقد أدى انتصار الاشتراكية بقيادة الحزب الشيوعي الى تحولات جذرية في جميع ميادين الحياة . وقد فتح مجال واسع لنمو الرفاهية والمستوى المادي والثقافي للشعب ، وقويت القدرة الدفاعية للاتحاد السوفييتي ، وتأمن الاستقلال الاقتصادي والسياسي الدولة السوفييتية . وبانتصار الاشتراكية دخل الاتحاد السوفييتي في مرحلة جديدة من تطوره — في مرحلة اتمام بناء الاشتراكية ، والانتقال التدريجي الى الشيوعية . ومع ذلك فان العمل في اتمام بناء المجتمع الاشتراكي قد قُطع في عام ١٩٤١ بهجوم المانيا الهتلرية الآثم .

وبعد ان خاض الشعب السوفييتي الحرب ضد العدوان الفاشي ظافراً شرع في ترميم الاقتصاد الوطني الذي أضر به المحتلون ضرراً بالغاً . وفي فترة قصيرة نقل اقتصاد الاتحاد السوفييتي الى خطوط سلمية ، وتقدم الى الامام بوتيرات سريعة .

فلنعمد الى نتائج التطور الاقتصادي والثقافي في الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٥٠ حين تم آخر ترميم للانتاج ، لنعمد الى النتائج التي أظهرت

بوضوح التدعيم المطرد للنظام الاشتراكي في البلاد . في تلك الفترة تطورت جميع فروع الاقتصاد الوطني للاتحاد السوفييتي بسرعة للغاية . في اعوام ١٩٥٠-١٩٦٣ باشر العمل ١١٣٤٠ مشروعاً صناعياً كبيراً . وازداد انتاج المنتجات الصناعية خلال ذلك الوقت ٣,٩٣ مرات .

ان الانتاج الاشتراكي يقوم من اجل تلبية حاجات الشغيلة المادية والثقافية . ولهذا فان كل خطوة في تطور الصناعة والزراعة تؤدي الى رفع المستوى الحياتي للشعب السوفييتي . من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٣ ازداد الدخل القومي في الاتحاد السوفييتي ٣,١ مرات . وزادت المدخولات الفعلية للشغيلة بمقدار ٢,٢ مرة بالقياس لكل مشتغل . وازدادت المدفوعات والمنافع التي يأخذها السكان من الصناديق الاجتماعية (علاوة على الأجور) بمقدار ٢,٦ . ويطبق في الاتحاد السوفييتي على حساب الصناديق الاجتماعية التعليم المجاني والخدمة الطبية المجانية ، والدفع اثناء المرض والاجازات ، ومدفوعات التقاعد والاعانات . وقد حسّن التأمين التقاعدي ، وزيدت أجور الاصناف الواطئة الأجور من الشغيلة ، ونقل جميع العمال والمستخدمين الى ٦-٧ ساعات عمل في

اليوم . وفي عام ١٩٦٤ اتخذ قانون رفع أجور المشتغلين بالتنوير والصحة العامة ، والمرافق البلدية والسكنية ، والتجارة ، والتغذية العامة ، والفروع الأخرى من الاقتصاد الوطني ذات الخدمة المباشرة للسكان . كما ينص هذا القانون على اعطاء تقاعد واعانات للكولخوزيين .

وقد بني في مدن الاتحاد السوفييتي خلال العقد الأخير من السنين أكثر من ١٧ مليون شقة ، وفي المناطق الزراعية زهاء ٦ ملايين بيت . وانتقل ١٠٨ ملايين انسان ، أي زهاء نصف مجموع سكان الاتحاد السوفييتي ، الى بيوت جديدة وتحسنت ظروفهم السكنية .

وانخفضت الاصابة بالامراض ، والوفيات بين السكان في الاتحاد السوفييتي انخفاضاً كبيراً . وارتفع متوسط الأعمار من ٣٢ عاماً في نهاية القرن الماضي الى ٧٠ عاماً في الوقت الحاضر .

وازداد عدد الاطباء في الاتحاد السوفييتي زيادة حادة . فلم يكن في روسيا ما قبل الثورة إلا ٢٣ الف طبيب ، اما الآن ففي الاتحاد السوفييتي ٤٤٥ الف طبيب ، وبالمعدل يوجد لكل ٥٠٠ شخص طبيب . وبالاضافة الى الاطباء يوجد مليون ونصف المليون

من ذوي المهن الطبية الأخرى . وقد قهرت امراض معدية من مثل الجدري والطاعون والكوليرا وقضي عملياً على الملاريا وأحرز نجاح كبير في مكافحة السل .

ويحتل الاتحاد السوفييتي مواقع امامية في الحقول البارزة للعلم والتكنيك والتعليم . والبلاد السوفييتية هي اول بلاد في العالم أطلقت الاقمار الاصطناعية التوابع للارض ، وضمنت تحليقات الانسان في الفضاء الكوني . وأحرز الاتحاد السوفييتي على نجاحات كبيرة في امتلاك الطاقة الذرية ، وعلم الالكترونيك اللاسلكي ، وفي فروع أخرى من أكثر فروع الانتاج تقدماً .في عام ١٩٣٩ كان في الاتحاد السوفييتي زهاء ١٦ مليون شخص حاصل على تعليم ثانوي او عال ، اما الآن فيوجد أكثر من ٧٢ مليوناً . وهذا يعني ان نصف السكان المشتغلين في البلاد السوفييتية أناس أنهوا المدرسة الثانوية او المدرسة المهنية الثانوية ، او المعهد . وعدد الطلاب الذين يتعلمون في المؤسسات التعليمية العالية السوفييتية أكثر باربع مرات تقويباً من جميع الطلاب الذين يتعلمون في انجلترا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا مجتمعة .

لقد انتصرت الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي كلياً ونهائياً . والآن دخل الاتحاد السوفييتي في فترة البناء الواسع للشيوعية .

واحرزت نجاحات هائلة في بناء الحياة الجديدة في الاقطار الاشتراكية الأخرى ايضاً . وهذه هي بعض الحقائق بهذا الصدد .

كانت بولنده الاشتراكية الحالية بلاداً متخلفة نسبياً بين الدول الأوروبية . وفي زمن الحرب العالمية الثانية أصاب العدوان الفاشي البلاد بجروح بليغة : فقدت بولنده ٦ ملايين انسان ، وحولت مدنها وقراها الى خرائب ورماد . واليوم حول بناء الاشتراكية بولنده الى بلاد صناعية وزراعية قوية . وقد ازداد الانتاج الصناعي في بولنده الشعبية بالقياس الى العهود البرجوازية ١٠ مرات بالنسبة للفرد الواحد من السكان . وازداد المحصول الزراعي لكل ١٠٠ هكتار الى الثلثين . ونمت الطبقة العاملة بمقدار ٤ مرات ، وكوادر المهندسين بمقدار ٨ مرات . وتقترب بولنده حثيثاً من مستوى أكثر اقطار أوروبا تطوراً من الناحية الاقتصادية . وقد خُلق فيها من جديد تماماً انتاج الآلات الضخمة ، واجهزة الطاقة ، والبواخر البحرية الحديثة ، وقاطرات الديزل

والقاطرات الكهربائية ، والتراكتورات والحاصدات الكومباين ، والمعدات والاجهزة الكهربائية المعقدة ، ومصنوعات عديدة أخرى . وحصلت الانشاءات الآلية على أعظم التطور فارتفعت مصنوعاتها ٣٠ مرة عن مستوى بولنده البرجوازية . وزاد الانتاج الكيمياوي أكثر من ٢٠ مرة . وفي الزراعة ازداد انتاج الحبوب أكثر من ٥٠ بالمائة . وارتفع ادرار الابقار من الحليب الى النصف تقريباً ، ويستخدم أكثر من ثلثي الفلاحين الطاقة الكهربائية التي لم يكن الفلاحون يعرفونها تقريباً في بولنده الماضية . وارتفع الدخل القومي ثلاث مرات . وقد أمن هذا نطاقاً واسعاً من البناء الصناعي والسكني والاجتماعي الثقافي ، وأتاح ايضاً ارتفاع المستوى الحياتي للسكان ارتفاعاً كبيراً ، وزيادة الاستهلاك ، واستخدام مكتسبات الثقافة والعلم والتنوير بشكل واسع .

وفي بلغاريا غيَّر التصنيع الاشتراكي بناء الاقتصاد بشكل جذري . في عام ١٩٣٩ كانت الصناعة لا تقدم سوى ١٩,٥ بالمائة من مجموع المنتجات المصنوعة في البلاد ، اما في عام ١٩٦٠ فقد ازدادت حصة الصناعة الى ٥٨,١ بالمائة . وقد بني في بلغاريا بمساعدة الاتحاد السوفييتي والاقطار

الاشتراكية الأخرى خلال ١٥ عاماً ١٦٠ مشروعاً جديداً من المصانع والمعامل والمناجم والمحطات الكهربائية ، وأعيد تشييد وتجهيز ٣ آلاف مشروع بالعمدات . وفي عام ١٩٦٣ انتجت الصناعة البلغارية من المصنوعات في كل ١٨ يوماً مقدار ما انتجته بلغاريا البرجوازية في عام ١٩٣٩ كله .

ان النظام العالمي للاشتراكية كله يكسب حدوداً جديدة في تعزيز قدرته الاقتصادية ، وتطور العلم والتكنيك . ويسمق الاقتصاد الوطني للاقطار الاشتراكية عالياً . وقد ارتفع انتاجها الصناعي لهذه الاقطار مجتمعة ٨ مرات في الوقت الحاضر بالقياس الى مستوى ما قبل الحرب العالمية الثانية .

التعاون والمساعدة المتبادلة بين الاقطار الاشتراكية

ان الاقطار الاشتراكية تبني علاقاتها المتبادلة على مبادىء المساواة التامة واحترام سلامة الاراضي ، واستقلال كل دولة ، وعدم تدخل البعض في الشؤون الداخلية للبعض الآخر . الا أن جوهر العلاقات بين الاقطار الاشتراكية لا تستوعبه مبادىء المساواة

والاستقلال . ان المساعدة الاخوية المتبادلة هي جزء مهم في علاقاتها المتبادلة . وفي هذه المساعدة المتبادلة يجد مبدأ الاممية الاشتراكية تعبيراً لها . وتلاحم الاقطار الاشتراكية ووحدتها الوثيقة هما أيضاً جزء لا يتجزأ من العلاقات المتبادلة بينها . فان هذا بالذات يؤمن المكتسبات الاشتراكية من محاولات الامبريالية العالمية للقضاء عليها . كما ان الوحدة تضمن الاستقلال الوطني لكل قطر اشتراكي ، ونمو جبروت النظام العالمي للاشتراكية كله .

وتقدم الاقطار الاشتراكية بعضها لبعض المساعدة بجميع انواعها ، وتحرص على تعزيز التعاون في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، وتناقش مباشرة وبصراحة القضايا الناضجة ، وتسعى الى الحل العادل لكل المشاكل لمصلحة التطور الأبعد للعلاقات الاخوية . وتساند الدولة الاشتراكية بعضها بعضاً في المجال العالمي باستمـرار وبشكل فعلي . وهي تتفق في المبدأ على خط عام في المشاكل الرئيسية للسياسة الخارجية .

وقد حدد الاتحاد السوفييتي مهمات سياسته الخارجية بالشكل التالي : تأمين الظروف السلمية لبناء المجتمع الجديد في اقطار المنظومة الاشتراكية ،

وتأييد الحركة التحررية والثورية ، والدفاع عن مبادئ التعايش السلمي في العلاقات بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة . وتدافع الاقطار الاشتراكية عن سلام وطيد في العالم كله ، والوصول الى نزع سلاح عام شامل ، وتقدم باستمرار اقتراحات موجهة لتحسين الوضع العالمي ، وقف الركض وراء التسلح . وقد ساندت في هيئة الامم المتحدة القرار الذي تقدمت به الدول الافريقية ، والداعي الى اعلان افريقيا منطقة خالية من السلاح الذري . وتعارض الاقطار الاشتراكية الاستعمار والاستعمار الجديد بنشاط ، وتؤيد حركة التحرر الوطني ، وتناهض التمييز في التجارة تجاه الاقطار الضعيفة اقتصادياً ، وتؤيد توسيع المساعدة الاقتصادية والتكنيكيــة والثقافة المقدمة لها دون اية شروط سياسية وعسكرية ، وتؤيد تطور الروابط التجارية والثقافية بين جميع الدول .

ويلعب التعاون الاقتصادي والمساعدة المتبادلة بين الاقطار الاشتراكية دوراً هائلاً في العلاقات المتبادلة فيما بينها . ولو كان كل قطر اشتراكي لوحده لما استطاع ان يتطور بمثل هذه الوتيرات الجبارة التي تطور بها وهو في منظومة الدول

الاشتراكية . ومما جعل المساعدة المتبادلة أكثر ضرورة هو أن بعض الدول الاشتراكية اما بسبب ضيق مواردها البشرية والمادية ، واما بسبب التخلف الشديد في اقتصادها ذلك التخلف الموروث من الماضي ستعاني لو سارت وحدها من أشد المصاعب في البناء الاشتراكي .

ما هو هدف التعاون الاقتصادي والمساعدة المتبادلة بين الاقطار الاشتراكية ؟ ان هذه الاقطار تسعى ليساعد بعضها بعضاً في بلوغ وتيرات عالية من النمو الاقتصادي ، ووتيرات عالية في ارتفاع المستوى الحياتي للشغيلة ، وفي التصنيع والتغلب التدريجي على الفروق في مستويات التطور الاقتصادي لمختلف الاقطار ، انها تعمل على خلق قاعدة مادية تكنيكية لانتقال جميع الاقطار الاشتراكية الى الشيوعية في وقت متقارب ، في حدود حقبة تاريخية واحدة . انها تسعى لأن تقصر الى الحد الأدنى موعد بلوغ النصر في المباراة الاقتصادية مع الرأسمالية .

ان تطور الاقتصاد الحديث لا يمكن أن يجري بانعزال ، وفي كل قطر على انفراد . فالتطور السريع للقوى المنتجة يتوقف بدرجة كبيرة على التعاون الاقتصادي بين الدول الاشتراكية . طبعاً ان كل

قطر يعتمد في تطوره الاقتصادي على المصادر والقوى الداخلية بالدرجة الأولى . ومع ذلك فان اقتصاد اي قطر اشتراكي لا يمكن أن يتطور بأشد الفعالية الا حين يستفيد هذا القطر من المزايا الناجمة عن وجود النظام الاشتراكي العالمي .

ونظراً لذلك انشأت جماعة كبيرة من الاقطار الاشتراكية – بلغاريا والمجر وجمهورية المانيا الديموقراطية ، وجمهورية منغوليا الشعبية ، وبولنده ، ورومانيا ، والاتحاد السوفييتي ، وتشيكوسلوفاكيا – منظمة اقتصادية عامة هي **مجلس التعاضد الاقتصادي** . وتتعاون الاقطار المشتركة في في مجلس التعاضد الاقتصادي على أساس المساواة التامة ، واحترام سيادة كل قطر منها ؛ ولهذا لا يستطيع اي قطر أو أية مجموعة من الاقطار أن تحتل مركزاً امتيازياً في العلاقة مع الاخرين . وقد أُكد في النظام الداخلي لمجلس التعاضد الاقتصادي على أن مبادئ التعاون تتطلب الجمع الصحيح بين مصالح الاقطار منفردة وبين المصالح العامة لتطور المنظومة الاشتراكية كلها . ان المصلحة الوطنية ومسؤولية القطر بمفرده ازاء تحقيق المهمات الاقتصادية العامة يقرنان على هذا الاساس بالالتزام الأممي لجميع

الاقطار الاشتراكية بمساندة جهود كل قطر على انفراد في تطوير اقتصاده الوطني . ويتخذ مجلس التعاضد الاقتصادي قرارات ليست الزامية ، بل تكون بمثابة توصيات لا يكون لها مفعول الا في حالة اخذها بعين الاعتبار وموافقتها التامة لمصالح جميع الاقطار المشتركة في هذه المنظمة . والطريقة الاساسية لعمل مجلس التعاضد الاقتصادي هي البحث الصابر عن أحسن اشكال التعاون ومراعاة الحرية التامة في اختيار هذه الاشكال .

ودور الاتحاد السوفييتي عظيم جداً في تعجيل وتيرات تطور الانتاج الصناعي للاقطار الاشتراكية . فمثلاً تنتج المشاريع المبنية في المجر بمساعدة الاتحاد السوفييتي ٤٠ بالمائة من مجموع انتاج الحديد الصب ، و٢٠ بالمائة من مجموع انتاج الفولاذ ، و٣٤ بالمائة من المصنوعات المصفحة ، الخ .. وفي بولنده تقدم المشاريع المماثلة أكثر من ٣٠ بالمائة من الحديد الصب ، و ٢٩ بالمائة من الفولاذ و ٢٠ بالمائة من الطاقة الكهربائية ، الخ ..

وتنشئ البلدان الاعضاء في مجلس التعاضد الاقتصادي بصورة مشتركة مجموعة كاملة من المشاريع الجبارة . قبل زمن وجيز مد خط أنابيب النفط

«دروجبا» («الصداقة») الذي بني بجهود مشتركة من قبل الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا وبولنده والمجر وجمهورية المانيا الديموقراطية . ويمتد خط الانابيب هذا من نهر الفولغا في قلب الاتحاد السوفييتي حيث يستخرج النفط الى جمهورية المانيا الديموقراطية . ويخلق خط الانابيب قاعدة ثابتة لتطور الصناعة النفطية الكيمياوية الحديثة في جمهورية المانيا الديموقراطية وبولنده وتشيكوسلوفاكيا والمجر . وباشر العمل نظام عام للطاقة الكهربائية لهذه الاقطار ، وهو النظام الذي اطلق عليه اسم «مير» («السلام») . والآن تبني البلدان المشتركة في مجلس التعاضد الاقتصادي مشاريع مشتركة عديدة في حقل معالجة المطمورات النافعة . فمثلاً تحصل جمهورية المانيا الديموقراطية على مساعدة من تشيكوسلوفاكيا في بناء منشأة لاستخراج املاح البوتاسيوم . وتستثمر بولنده وتشيكوسلوفاكيا وجمهورية المانيا الديموقراطية سوية مستودعات الفحم ، وقد بنت سوية محطات كهربائية ضخمة تستخدم طاقتها بشكل مشترك . وتساعد تشيكوسلوفاكيا الاتحاد السوفييتي في تطوير استخراج خام الحديد ، وصهر الالمنيوم .

ولا يقدم الاتحاد السوفييتي مساعدة كبيرة الى الاقطـــار الاشتراكية المنظمـة الى مجلس التعاضد الاقتصادي فقط ، فقد ساعد جمهورية الصين الشعبية على أن تبني خلال فترة قصيرة أكثر من ٢٠٠ من المشاريع الصناعية الكبيرة والورش والمؤسسات مجهزة بأحدث الاجهزة . وانشئت في جمهورية الصين بمساعدة الاتحاد السوفييتي فروع صناعية كاملة لم تكن من قبل في الصين : صناعة الطائرات والسيارات وبناء التراكتورات وصناعة أجهزة الطاقة والانشاءات الآلية الثقيلة ، وصناعة الادوات وصناعة الاجهزة اللاسلكية ، وفروع مختلفـة من الصناعة الكيمياوية . وخلال الخمسينيات أوفد أكثر من ١٠ آلاف اخصائي سوفييتي الى الصين بمدد مختلفة لتقديم العون الانتاجي والعلمي التكنيكي . ومن عام ١٩٥١ الى ١٩٦٢ أتم أكثر من ١٠ آلاف مهندس وفني وعامل كفوء صيني وزهاء الف عالم صيني تدريبهم واعدادهم العلمي وتطبيقهم في الاتحاد السوفييتي . وخلال هذه الفترة أنهى أكثر من ١١ الف طالب واسبرانت صيني دراستهم في المؤسسات التعليمية العالية السوفييتية .

ومعروف جيداً أيـة مساعدة اقتصادية هائلة نالتها جمهورية كوبا من الاتحاد السوفييتي والاقطار الاشتراكية الاخرى .

ويتكون بين الاقطار الاشتراكية تقسيم عمل عالمي لا مثيل في التاريخ ، وجديد بطابعه كلياً .

في ظل الرأسمالية يوجد أيضاً تقسيم عمل بين الدول ، الا أنه قائم على استعباد الاقطار الضعيفة من قبل الاقطار الأقوى . فالاقطار الاستعمارية البارزة ــ الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا ، والمانيا الغربية ، وفرنسا ــ تفرض ارادتها على الاقطار الأكثر ضعفاً ، وتعيق تطورها الاقتصادي والثقافي . وتخلق العلاقات السياسية والاقتصادية للمجتمع البرجوازي وتساند ظروفاً يعني فيها نجاح أمة فشل أخرى ، وبالعكس . وقد قال ماركس عن الرأسمالية : «وفي حدود هذه النظام يكون ربح دولة من الدول خسارة للأخرى» *.

بينما يقوم التقسيم الاشتراكي العالمي للعمل على مبادئ أخرى . فهنا يهتم كل قطر في نهوض وتقوية الدول الأخرى . فكلما قوي أي قطر اشتراكي قوي النظام العالمي للاشتراكية ككل . ولا تستخدم الدول الاشتراكية العلاقات الاقتصادية المتبادلة للضغط أو

---

* كارل ماركس وفريديريك انجلس . مؤلفات ، المجلد ١٧ ، ص ٢٧٨ (الطبعة الروسية) .

اضعاف بعضها بعضاً ، بل لتقدم مشترك أكثر سرعة . ويتحقق التقسيم الاشتراكي للعمل على نحو يحتفظ معه ، في مجرى عملية التعاون الاقتصادي ، بسلامة الاقتصاد الوطني لكل قطر ، ذلك الاقتصاد الذي يجب أن يكون أحسن تنسيقاً لفروع يكمل بعضها بعضاً . ويخضع تطور الاقتصاد الوطني لمتطلبات التخطيط المرسوم بشكل علمي ، والذي يجمع بانسجام التخصص العالمي لانتاج قطر معين بالاستفادة الأتم والأكثر فعالية من الظروف الاقتصادية الداخلية .

وقد نشأت بين الاقطار الاشتراكية اشكال مختلفة من التعاون والمساعدة المتبادلة . انها التنسيق لخطط الاقتصاد الوطني ، والتخصص وجعل الانتاج تعاونياً ، والتجارة ، وتقديم القروض ، والمساعدة التكنيكية ، والتعاون العلمي التكنيكي ، والبناء المشترك للمشاريع الصناعية ، ومعالجة الموارد الطبيعية .

فهناك بين الاقطار الاشتراكية دول عالية التصنيع كالاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا وجمهورية المانيا الديموقراطية ، والى جانبها دول لها مستوى اقل ارتفاعاً في التطور الصناعي ، مثل جمهورية الفيتنام الديموقراطية وجمهورية منغوليا الشعبية .

وتسعى الاقطار الأكثر تطوراً في المعسكر الاشتراكي الى مساعدة الشعوب الشقيقة في التغلب على الاختلاف القائم في ظروف التطور الاقتصادي . وتقدم الدول الاشتراكية المتقدمة العون النزيه للاقطار الأقل تطوراً لانهاض اقتصادها وثقافتها . ويختفي في النظام الاشتراكي العالمي بالتدريج تقسيم الاقطار الى اقطار صناعية وأخرى زراعية ، الى متقدمة وأخرى متاخرة من الناحية الاقتصادية . فبفضل العلاقات الانتاجية الاشتراكية ، والمساعدة المتبادلة استطاعت الاقطار الاشتراكية التي كانت منذ عهد قريب متخلفة من الناحية الصناعية ان تبلغ في الاعوام الاخيرة نجاحات كبيرة في تطوير اقتصادها ، وفي تطور القوى المنتجة . وهذا أهم تمهيد للتساوي السريع في مستوى التطور الاقتصادي .

ان التساوي في مستوى التطور الاقتصادي لجميع الاقطار هو المهمة التي تضعها الدول الاشتراكية امامها . وفي حل هذه المهمة تبرز قضايا كثيرة مهمة ومعقدة ، ذلك لأن الفروق في مستوى التطور الاقتصادي للاقطار المختلفة قد نشأ خلال قرون عديدة . فكيف سيحدث التساوي في مستوى التطور الاقتصادي ؟ طبيعي أن الاقطار المتطورة صناعياً

لا يمكن ان تتوقف في تطورها ، فان ذلك من شأنه ان يؤدي الى اضعاف النظام الاشتراكي العالمي كله . تحقق الاقطار الاشتراكية التساوي في هذا المستوى عن طريق تجنيد مصادرها الوطنية ـ القوة العاملة ، والخامات ، والمقدرات الانتاجية ، حاصلة في نفس الوقت في نطاق أسرة الاقطار الاشتراكية على المساعدة الشاملة والاسناد .

في اقطـار الديموقراطية الشعبية يجري اكمـال البناء الاشتراكي ، وفي الاتحاد السوفييتي يجرى بناء واسع للشيوعية ، وهذه عملية مترابطة . فالاتحاد السوفييتي الذي هو أول من يشق الطريق الى الشيوعية يسهل ويعجل تقدم جميع الاقطار الاشتراكية الى هذا الهدف . وفي نفس الوقت تعزز نجاحـات البنـاء الاشتراكي في اقطار الديموقراطية الشعبية كل النظام العالمي للاشتراكية ، وتخفف على الشعب السوفييتي نضاله في سبيل بناء الشيوعية .

ان التعاون والمعونة المتبادلـة بين الاقطـار الاشتراكية يؤديان الى تعجيل التطور العام . فالاتحاد السوفييتي الذي يقدم مساعدة كبيرة لأي دولـة اشتراكية انما يكسب من هذا التعاون هو الآخر . وتسعى الاقطار المشتركة في مجلس التعاضد الاقتصادي

الى توسيع علاقاتها الاقتصادية في المستقبل أيضاً ، والى تعجيل التقدم الاقتصادي بتوحيد قواها فترفع بذلك وتيرات البناء الاشتراكي .

المباراة الاقتصادية
للاشتراكية مع
الرأسمالية

لما كان هناك نظامان اجتماعيان متعارضان قائمان اليوم على الارض هما الاشتراكية والرأسمالية فان النضال بينهما جار . وتسعى الاقطار الاشتراكية برفضها الحازم للحرب كوسيلة لحل المنازعات والخلافات العالمية الى ان يحمل هذا النضال طابع المباراة السلمية ، وينحصر في ميدان السياسة والايديولوجية والاقتصاد .

وتولى الاقطار الاشتراكية اهمية كبيرة للمباراة الاقتصادية . وهي تعتبر الاقتصاد المجال الرئيسي الذي تجري فيه المباراة السلمية بين النظامين الاجتماعيين .

وفي هذه المباراة تحتفظ الاقطار الاشتراكية في ثبات بالاولية في وتيرات النمو الاقتصادي . فان

وتيرات زيادة الانتاج الصناعي في الاقطار الاعضاء في مجلس التعاضد الاقتصادي قد زادت في اعوام ١٩٦٠ـ ١٩٦٣ على وتيرات نمو الانتاج في الولايات المتحدة لأكثر من مرتين ، وفي انجلترا لأكثر من ثلاث مرات .

واذا كان الانتاج الصناعي بالنسبة للفرد الواحد من السكان في الاقطار المنظمة الى مجلس التعاضد الاقتصادي ما كاد يرتفع في عام ١٩٥٠ عن المستوى العالمي المتوسط فانه في عام ١٩٦٢ قد زاد عليه بأكثر من ثلاث مرات . وتكون الاقطار المشتركة في مجلس التعاضد الاقتصادي أعظم منطقة صناعية في العالم .

وفي الوقت الحاضر ما زالت الاقطار الرأسمالية متفوقة على الاقطار الاشتراكية في الحجم الكلي للانتاج الصناعي والزراعي بعد . الا أن للاقطار الاشتراكية الآن كل الظروف الكفيلة بحل المهمة التاريخية ـ وهي التفوق بالجهود المشتركة وباقصر وقت على النظام الرأسمالي العالمي من حيث الحجم الكلي للانتاج الصناعي والزراعي ، وبعد ذلك تجاوز اكثر الاقطار الرأسمالية تطوراً من الناحية الاقتصادية في مستوى الانتاج بالنسبة للفرد الواحد من السكان ، وبالتالي ، في المستوى الحياتي .

ولا تبرز في النظام الرأسمالي العالمي غير مجموعة صغيرة نسبياً من الاقطـــار ذات المستوى العالي في الانتاج بالنسبة للفرد الواحد من السكان . بينما يملك عدد أكبر بكثير من الاقطار الضعيفة اقتصادياً مستوى واطئاً للغاية في الانتاج بالنسبة للفرد الواحد من السكان . وفضلاً عن ذلك فحتى المستوى العالي للانتاج في الاقطار الرأسمالية لا يؤمن تحسين ظروف الحياة للجماهير الواسعة من الشعب . فهناك تختفي وراء الأرقام المتوسطة للانتاج بالنسبة للفرد الواحد من السكان النفقات الهائلة للطبقات المستغِلة التي تعيش حيـــاة طفيلية ، والمستوى العالي للغايـــة لاستهلاك هذه الفئة الضئيلـــة ، والمستوى الواطئ لاستهلاك الشغيلة .

اما في الاقطار الاشتراكية فمع تطور قواها المنتجة تتحسن ظروف الحياة للشعب كله ، ويكون الدخل القومي كله في متناول الشغيلة . ولهذا فحين تتفوق الاقطار الاشتراكية على اقطار الرأسمالية المتطورة في الانتاج بالنسبة للفرد الواحد من السكان فانهـــا بذلك تؤمن لنفسها أعلى مستوى حياتي في العالم .

بعد ثورة أكتوبـر ازدادت الوتيرات السنوية

المتوسطة لنمو الصناعة في الاتحاد السوفييتي أكثر بثلاث مرات على وتيرات النمو في صناعة الولايات المتحدة الامريكية وهذا التفوق ما يزال قائماً حتى الآن . ويقترب الاتحاد السوفييتي بثقة من الولايات المتحدة الامريكية من حيث نطاق الانتاج الصناعي ، وقد سبقها في بعض الفروع .

كما تناضل الاقطار الاشتراكية الاخرى بنجاح من أجل تحقيق مشروعاتها للمستقبل . ويسعى النظام الاشتراكي الى تخطي الرأسمالية في الاعوام القريبة في ميدان الانتاج المادي ، وتقديم أكثر من نصف الانتاج الصناعي العالمي . وستكون لحل هذه المهمة أهمية تاريخية عالمية .

فمن سيكون الحَكَم الفَصْل في المباراة بين النظامين ؟ ومن سيحدد أي النظامين الاجتماعيين افضل ؟ ان الشعوب ستكون هذا الحكم . ان الجماهير الشعبية هي الخالقة للتاريخ وهي بالذات ستقرر أي نظام اجتماعي أكثر قبولاً عندها ـ الاشتراكية ام الرأسمالية . والشعوب بنفسها ستعرف أين يوجد أقصر يوم عمل ، وأين يحصل الانسان العامل على خيرات مادية وروحية أكثر ، وأين تضمن السيادة الشعبية الحقة .

النظام العالمي للاشتراكية
عامل حاسم في تطور
المجتمع الانساني

كان تأثير ثورة أكتوبر أكبر بكثير من تأثير اية ثورة سابقة : فقد ظهر العالم كله تحت تأثير المثل الذي ضربته ، وانتقلت مئات الملايين من الشغيلة في الهجوم على الرأسمالية ، وخفت ظروف نضـــال الشعوب في الاقطـــار المستعمرة والتابعة من أجل تحررها . ومع بداية عصرنا ، وبوجه خاص بعد خروج الاشتراكية من أطار بلد واحد ، وتكون وتعزيز النظام الاشتراكي العالمي تجري تحولات عميقة في ميزان القوى في الميدان العالمي . وتتحول الاشتراكية ، التي صارت قوة أممية ، بمُثُلها العليا ، مثل السلام والتقدم الى عامل حاسم في التطور العالمي . وبهذا بالذات تكمن الصفة الرئيسية المميزة لعصرنا .

وتؤثر الاشتراكية الظافرة تأثيراً رئيسياً في مجرى الاحداث العالمية ، وتطور الثورة العالمية بمنجزاتها في البناء الاقتصـــادي . فان هذه المنجزات بالذات لشعوب الاقطـــار الاشتراكية تظهر للعالم كله أن المجتمع الاشتراكي يفتح امكانية لا حد لها لازدهار

الاقتصاد والعلم والثقافة ، ولتأمين مستوى حياتياً عالياً للناس ، ولحياتهم السلمية السعيدة .

وبانتصار النظام الجديد في الاتحاد السوفييتي لم تعد الاشتراكية العلمية امام البشرية نظرية فقط ، بل وواقعاً حياً أيضاً . وأصبحت حقيقتها وقابليتها للحياة مؤكدتين أكثر فأكثر بتطبيق الملايين العديدة من الجماهير الشعبية . وظهرت في حياة الانسانية قوة تاريخية جديدة ، وراحت تزداد أهمية – انها قوة المثل الذي تضربه شعوب تجري تحولات اجتماعية جذرية منهية كل انواع الاستغلال والظلم والتفاوت الاجتماعي ، وتحل في اوقات قصيرة اعقد المشاكل للحياة الاجتماعية التي اقلقت وعذبت الانسانية آلافاً من السنين .

ويخلق النظام العالمي للاشتراكية بقوة المثل الذي يضربه ، الميول الثورية في عقول الشغيلة في العالم الرأسمالي ويحفزهم في النضال ضد الرأسمالية ، ويخفف بدرجة هائلة ظروف هذا النضال . وما يجري في الدول الاشتراكية لتحسين ظروف حياة السكان (رفع الأجور ، تحسين الضمان التقاعدي ، تقليل ساعات العمل الاسبوعية ، زيادات الاعتمادات لتطور الصحة العامة ، والتنوير ، والثقافة ، وبناء المساكن ، الخ ..)

يجبر الطبقات الحاكمة في الدول الرأسمالية الرامية الى الاحتفاظ بسيادتها ، على القيام بتنازلات للشغيلة المناضلين في الحقل الاجتماعي والاقتصادي . وقد قال الكاتب الامريكي المشهور تيودور درايزر في الثلاثينيات بعد ظهور التشريع الاجتماعي في الولايات المتحدة الامريكية : «انني على كل ذلك اشكر ماركس وروسيا الحمراء» . وقد اعترفت الشخصيات البرجوازية من أعلى المراتب أكثر من مرة بأن نجاحات الاشتراكية العالمية جعلت من الخطر الابقاء بعد الآن على «لطخات في جسم» الديموقراطية البرجوازية من مثل البطالة الساحقة ، والتمييز العنصري ، والصحافة التي تضلل الشعب الخ ..

وتعمل مساندة الاقطار الاشتراكية لحركة التحرر الوطني للشعوب المضطهدة على القضاء على الحكم الاستعماري المشين للامبريالية ، وتساعد التبدلات الجذرية الحاصلة في خارطة العالم السياسية .

ويساعد النظـــام العالمي للاشتراكيـــة الشعوب المتحررة من العبودية الاستعمارية على ان تكافح من أجل انبعاثها القومي ، ومن أجل بلوغ الاستقلال الوطني . ان نجاحات الدول الاشتراكية التي استطاعت

بمثل هذه السرعة أن تتغلب على التخلف المعمر الذي ورثته من الرأسمالية ، وتقضي بدرجة كبيرة على الاختلاف التاريخي في مستويات التطور الاقتصادي والثقافي بين امم مختلفة ، تشجع شعوب الاقطار الضعيفة اقتصادياً في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وتدل الشعوب على طريق القضاء على التخلف الاقتصادي والثقافي الذي فرضته عليهم الامبريالية .

وتخلق المنجزات الاقتصادية للاقطار الاشتراكية امكانية لتقديم المساعدة الاقتصادية للاقطار الضعيفة التطور . وتتسع بسرعة العلاقات الاقتصادية للاقطار الاشتراكية مع الدول النامية . وخلافاً لاقطار الامبريالية لا تطلب الاقطار الاشتراكية من الدول الفتية أن تدفع اثمان البضائع بالعملة الصعبة . وهي تسعى الى أن تضمن مدفوعات صادراتها بارساليات من البضائع التقليدية للدول النامية . وتقدم الاقطار الاعضاء في مجلس التعاضد الاقتصادي مساعدة كبيرة لتصنيع الدول النامية . ففي عام ١٩٦٣ شيد بمساعدتها التكنيكية في ٤٣ قطراً من اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ١١٧٠ مشروعاً صناعياً كبيراً وغيرها من المشاريع من بينها ٦٠ مشروعاً للتعدين والاعمال المنجمية والفحم وأكثر من ٨٠

مشروعاً للانشاءات الآلية ، ومعالجة المعادن ، وأكثر من ٢٥٠ مشروعاً لصناعة النسيج والطعام ، وزهاء ٥٠ محطة كهربائية .

وساعد الاتحاد السوفييتي الهند في بناء كومبينة التعدين في بهيلاي بقدرة مليون طن من الفولاذ في العام . وستصل قدرتها الانتاجية فيما بعد الى ٢,٥ مليون طن . كما بني في الهند بمساعدة الاتحاد السوفييتي والاقطار الاخرى المشتركة في مجلس التعاضد الاقتصادي مصنع للانشاءات الآلية ، ونظم استخراج النفط ، وانشئ عدد من المشاريع الأخرى .
ويشيد في الجمهورية العربية المتحدة بمساعدة الاتحاد السوفييتي زهاء ١٠٠ مشروع صناعي وغيرها من المشاريع . ويشمخ على نهر النيل الافريقي العظيم سد اسوان العالي الجبار . وستزيد مساحة الاراضي المروية في مصر بعد اتمام بنائه أكثر من ٨٠٠ الف هكتار مما يتيح زيادة الانتاج الزراعي للبلاد الى النصف . وستولد محطة اسوان الكهربائية التي تبلغ طاقتها أكثر من مليوني كيلوواط من الطاقة الكهربائية ما يزيد ٤ مرات عما يولد في مصر في الوقت الحاضر .

وبمساعدة الاقطار الاشتراكية يتزعزع الاستعمار

4—944

القديم والجديد . فقد فقدت الدول الامبريالية الى الأبد وضعها الاحتكاري كمصدرة للمعدات الى الاقطار الضعيفة التطور . وبتأثير مساعدة اقطار النظام العالمي للاشتراكية اضطرت الدول الامبريالية الى تقديم تنازلات للاقطار المتحررة . كما فقدت الدول الامبريالية وضعها الاحتكاري القديم كمعطية قروض . فان الدول الاشتراكية تقدم للاقطار الضعيفة التطور اقتصادياً القروض الكبيرة التي تساعد هذه الاقطار على تعزيز اقتصادها الوطني .

وتساعد الاقطار الاشتراكية الاقطار الضعيفة التطور اقتصادياً على أن ترتفع أسرع الى المستوى الحديث للعلم والتكنيك ، وأن تخلق الكوادر الوطنية الكفوءة . فالمهندسون والتكنيكيون والعمال من اقطار كثيرة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية يمضون اعدادهم في المؤسسات التعليمية والمختبرات وفي مشاريع الاقطار الاشتراكية . وأسست في موسكو جامعة الصداقة بين الشعوب التي تحمل اسم باتريس لومومبا يتعلم فيها طلاب من اقطار كثيرة من العالم .

وتسعى الاقطار الاشتراكية الى تطوير العلاقات مع جميع الاقطار على أسس المساواة والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية . ولا تشرط مساعدة

الدول الاشتراكية بأي تقييدات ، ولا بأي شروط عسكرية وسياسية .

وتتعزز القدرة الاقتصادية والعسكرية للاقطار الاشتراكية ، وترتفع مكانتها الدولية ، ويتغير تبعاً لذلك ميزان القوى على المسرح العالمي لصالح الاشتراكية . وهذه يتيح الآن حل أهم مشاكل العصر الراهن بشكل جديد ، لمصلحة السلام والديموقراطية والاشتراكية .

وتقف الاقطار الاشتراكية أكثر كدريئة قوية في طريق الرجعية العالمية في محاولاتها للتدخل المناهض للثورة في الشؤون الداخلية للشعوب . ومن قبل وحتى تكوّن النظام العالمي للاشتراكية كان يخيم على الشعوب الثورية دائماً التهديد بالتدخل المسلح للقوى المتحالفة للرجعية العالمية لغرض اعادة النظم القديمة . والآن تصطدم محاولات الامبريالية العالمية لقمع الثورة الوطنية التحررية ، او الثورة الديموقراطية الشعبية ، أو الثورة الاشتراكية في هذا القطر او ذاك بالعمل المضاد من قبل الاقطار الاشتراكية التي تساند الشعوب في كفاحها ضد تصدير الثورة المعاكسة والاستعمار . وقد ساعد الاتحاد السوفييتي والاقطار الاشتراكية المؤيّدة من قبل الاوساط التقدمية من الانسانية

شعوب مصر وسوريا والعراق وكوبا والفيتنام وشعوب الاقطار الاخرى في كفاحها ضد العدوان الاستعماري .

وتعرقل القدرة المتنامية للاقطار الاشتراكية القوى الاساسية للرجعية العالمية والعدوان . ولهذا تحصل جماهير الشغيلة وشعوب الاقطـــار المستعمرة على الامكانيات الملائمة أكثر فأكثر للكفاح ضد الامبريالية والرجعية الداخلية .

الفصل الثالث

حركة التحرر الوطني

ان انهيار نظام العبودية للاستعمارية تحت ضغط حركة التحرر الوطني هو الظاهرة الثانية في الاهمية التاريخية بعد تكوُّن النظام الاشتراكي العالمي .

يحدث نتيجة لنهوض حركة التحرر الوطني انهيار للنظام الاستعماري للامبريالية . فاذا كان يعيش في الاقطار المستعمرة والتابعة في عام ١٩٣٩ أكثر من ثلثي الانسانية فانه لم يبق الآن تحت السلطة المباشرة للمستعمرين غير ١,٥ بالمائة من سكان الأرض . وتحتل الدول ذات السيادة ٩٧ بالمائة من اراضي آسيا و ٧٥ بالمائة من اراضي افريقيا . وتوجد اليوم في مكان المستعمرات السابقة أكثر من ٥٠ دولة مستقلة . وبين الـ ١١٧ دولة من الاعضاء في هيئة الامم المتحدة تؤلف اقطار آسيا وافريقيا نصف هذا العدد .

بأي شيء تتميز حركة التحرر الوطني في المرحلة الراهنة ؟ قبل كل شيء ان حركة التحرر الوطني تجاوزت الأطر الوطنية لاقطار منفردة ، وشملت كل الاقطار الواقعة تحت نير الامبريالية . وتوجهت ضد الاستعماري ككل . وتحولت مناطق كبيرة من العالم كانت في الماضي طرفاً مستعمراً للامبريالية الى جبهة للنضال النشيط ضد الامبريالية . ان التحرر السياسي لغالبية المستعمرات واشباه المستعمرات السابقة من النير الاستعماري المباشر وتكوُّن الدول ذات السيادة هما ثمرة ليقظة النشاط السياسي للجماهير الشعبية ، والنمو الهائل لتنظيم ووحدة القوى العادية للامبريالية .

وهناك خاصية أخرى للمرحلة الحاضرة لحركة التحرر الوطني تتمثل في تعدد اشكال وطرق النضال تبعاً لتوزيع القوى الطبقية والسياسية في كل قطر ، وتبعاً لمستوى التطور الاجتماعي الاقتصادي ، ودرجة نشاط الجماهير . وقد تطور هذا النضال ويتطور في اشكال مختلفة : حركات مسلحة ، مظاهرات سياسية جماهيرية ، اضرابات عامة ، استيلاء على الاراضي التي انتزعها المستعمرون في الماضي عنوة ، مقاطعة البضائع الاجنبية . وشعب كل قطر هو الذي

يختار بنفسه الطرق والوسائل لحل المشاكل القائمة امامه .

وتهتم شعوب المستعمرات في أن تظفر بالاستقلال بأقل ما يمكن من الخسائر المادية والبشرية . ولهذا فهي تسعى الى القضاء على النير الاستعماري بطريق سلمي . ولكن الشعب ، في حالة امتناع الامبريالية عن تلبية مطالبه العادلة ، يستخدم أيضاً وسائل أخرى للنضال مثل الانتفاضة المسلحة ، والحرب التحررية . وفي الاعوام العشرة التي أعقبت الحرب كان على شعوب أكثر من عشرة اقطار أن تحمل السلاح لتطرد المستعمرين . وفي الفترة ما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ تحررت ٣٣ مستعمرة من ٣٥ مستعمرة دون نضال مسلح . وقد زعم المستعمرون ويزعمون انهم بانفسهم يخرجون من المستعمرات . ولكن لا أحد من الناس يصدق بذلك . فاذا كان المستعمرون لا يخرجون فانهم على أية حال سيطردون مشيعين بالعار ، وهم يعرفون ذلك .

ولا تقتصر حركة التحرر الوطني المعاصر على النضال من أجل القضاء على الاضطهاد القومي ، والسيادة الاستعمارية المباشرة ، بل توجد امام حركة التحرر الوطني مهمة ايجاد الاسس المادية

للتطور اللاحق للاقتصاد . بالرغم من أن دولاً كثيراً قد ظفرت باستقلالها السياسي إلا انها ما تزال توابع زراعية للاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وواقعة في مجال التقسيم الرأسمالي للعمل . ولهذا فان المشكلة الرئيسية المطروحة الآن امام حركة التحرر الوطني هي تخليص سكان قارات كاملة من آثار نير استعماري طويل الأجل – من الجوع والفقر .

ان ظفر الشعوب المظلومة بالاستقلال السياسي هو المرحلة الأولى للثورة الوطنية التحررية . ويحتاج النصر التام لهذه الثورة الى الاستقلال الاقتصادي للدول الفتية . وهذا يعني أن من الضروري انهاء سيطرة الاحتكارات الأجنبية ، وخلق صناعة وطنية ، والغاء الانظمة الاقطاعية ، واقامة اشكال ديموقراطية للادارة الاجتماعية . وحين يحدث الانهيار النهائي للنظام الاستعماري ، ويُزال اشراف المستعمِرين السياسي أو يقوض بدرجة كبيرة يصبح حل مثل هذه المهمات الاجتماعية والاقتصادية المحتوى الرئيسي لحركة التحرر الوطني . وفي هذه المرحلة الثانية لتطور الثورة الوطنية التحررية تهتم الطبقات المختلفة في حل هذه المهمات بشكل مختلف . الا أن الطبقة العاملة والفلاحين ، والمثقفين ، وفي درجة

معينة حتى جزء كبير من البرجوازية الوطنية يهتمون في القيام بتدابير من شأنها تأمين الاستقلال الاقتصادي . وهذا الاشتراك في المصالح يخلق أساساً للوحدة في النضال ضد الامبريالية .

نضال الشعوب من اجل الاستقلال السياسي – هو الشرط الاول للاستقلال التام

تمارس شعوب الدول الفتية تأثيراً في اتجاه السياسة العالمية . وحكومات بعض تلك الاقطار لا تعكس دائماً بشكل كامل المطالب التي تطرحها الشعوب . الا أن الاتجاه الرئيسي لسياسة غالبية اقطار آسيا وأفريقيا وعدد من اقطار امريكا اللاتينية ، ومنحاها المعادي للامبريالية والمحب للسلام يحدده الشعب .

وفي الفترة التي كانت فيها الامبريالية السائدة على الكرة الارضية لم يكن في وسع الاقطار المستقلة في آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية أن تنتهج سياسة خارجية مستقلة ، وتستخدم سيادتها للدفاع عن المصالح الوطنية . فقد كانت الاقطار المستقلة

اسمياً من مثل الصين وتركيا ومصر وليبريا اهدافاً للتنافس الامبريالي . وكانت سياستها الخارجية تحددها بدرجة كبيرة تلك الدولة من الدول الامبريالية التي كان لها تأثير وقوة أكبر .

وبعد الحرب العالمية الثانية حين بزغ النظام العالمي للاشتراكية وتغير ميزان القوى بشكل جذري لصالح الاشتراكية أصبح عدد متعاظم من الدول المستقلة في آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية ينتهج سياسة خارجية مستقلة ، واستطاع أن يقاوم بنجاح تحكم الامبرياليين .

وتقارب وتعاون الاقطار المتحررة الملاحظ في مثل هذه الظروف انما هو ذو اهمية كبيرة . فالمنظمات الدولية والاجتماعية التي تؤسسها هذه الاقطار تساعد النضال ضد الامبريالية . ويدل منطق الاحداث على أن الاقطار التي تحتل مواقع امامية في النضال ضد الامبريالية تساعد على وضع اكثر القرارات موافقة وتقدمية . كما يصوت الى جانب مثل هذه القرارات ممثلو الحكومات التي ما كانت لتستطيع كل واحدة منها منفردة أن تقف ضد الامبريالية بحزم . والمثال الواضح على ذلك هو مؤتمر رؤساء دول وحكومات الاقطار الافريقية المستقلة الذي انعقد في اديس

أبابا في مايو (أيار) ١٩٦٣ . وتنص قرارات المؤتمر على تقديم المساعدة الحقة للحركة التحررية . كما أن المؤتمر الثاني لدول وحكومات الاقطار الافريقية المستقلة التي انعقد في القاهرة في يوليو (تموز) ١٩٦٤ أسهم مساهمة كبيرة في قضية التعزيز الابعد للوحدة الافريقية .

وبقدر تعزيز الاستقلال السياسي للاقطار المتحررة تقل امكانية تدخل الدول الاستعمارية في حياتها . ويقرب تعزيز الدول المستقلة تحرير الشعوب التي ما زالت تحت النير المباشر للامبريالية . ويمكن أن يضرب مثل على ذلك بالنضال البطولي لشعب انغولا حيث اندلعت انتفاضة في فبراير (شباط) ١٩٦١ . وكانت سيطرة المستعمرين البرتغاليين في خطر . الا أن المضطهدين تلقوا المساعدة من حلفائهم في حلف شمال الاطلسي . فحصلت البرتغال السلاح من الولايات المتحدة وانجلترا وجمهورية المانيا الاتحادية . ولولا هذا السلاح لما صمد المستعمرون في انغولا .

ولواضح من مثل انغولا الى اي المناورات يلجأ المستعمرون لقمع الوطنيين المناضلين في سبيل الاستقلال الوطني . ثم ان انقسام المنظمات السياسية

الوطنية وسيلة معروفة النتائج . فان تفرق القوى التحررية يضعف جبهة النضال المعادي للاستعمار .

الا أن الوقائع على اية حال تشهد على فشل المناورات الاستعمارية . فان حكومة انغولا الموقتة قد اعترف بها أكثر من عدة دول افريقية . واصبحت هذه الحكومة نفسها تقوم في الميدان السياسي بفضح المستعمرين البرتغاليين وحماتهم الامبرياليين . وفي هذه الظروف يصبح اتحاد المشتركين في النضال الوطني التحرري ضرورة أولى . ويلقي انتصار الشعب الانغولي استجابة كبيرة في افريقيا ، ويؤثر على الحركة التحررية لشعب الجمهورية الافريقية الجنوبية .

ومع ذلك فان أخطر مباءة للحكم الاستعماري ما تزال موجودة في مناطق واسعة من الجزء الجنوبي للقارة الافريقية .

لقد قال كارل ماركس ان دراسة تاريخ النظام الاستعماري تمكن من «رؤية الى اي شيء تتحول البرجوازي نفسه ، والى اي شيء يحول عماله في المكان الذي يستطيع فيه ، دون حياء ، أن يعيد تنظيم العالم حسب صورته وعلى غراره» * . والآن يعمل

* كارل ماركس . «رأس المال» ، المجلد الاول ، الفصل ٢٤ .

البرجوازية في جنوب افريقيا دون حياء ، وقد تحول هناك الى مالك فظ للرقيق ، ومعذب لا قلب له ، وجلاد للشعب وجاعل منه ضحية . وقد جعل من عماله الافريقيين عبيداً محرومين من أية حقوق انسانية ، وانتزع منهم الارض ، وطرد الافريقيين الى اماكن قاحلة وجردهم من وسائل العيش ، وجعلهم في تبعية تامة لتحكمه . وهكذا أجبر هذا البرجوازي سكان افريقيا الجنوبية على العمل الشاق في مناجمه ومشاريعه . وهو يقتل دون تردد مئات المتظاهرين المحتجين على هذا النظام ، ويستعد الى أعمال قمع اشد قساوة .

ان سياسة التفرقة لعنصري جنوبي افريقيا ليست قضية خاصة بهم ، وهي لا تطبيق لمصلحتهم فقط . ان نظام الرق في الجمهورية الافريقية الجنوبية هو جزء لا يتجزأ من مجموع النظام الامبريالي العالمي للاضطهاد . والرأسمال الاحتكاري للولايات المتحدة الامريكية وانجلترا واقطار اخرى لا يقل مصلحة في اضطهاد شعوب البانتو في جنوبي افريقيا عن حكام ورأسماليي الجمهورية الافريقية الجنوبية نفسها . فبالعمل العبودي لشعوب البانتو يستخرج أكثر من نصف كل ذهب العالم الرأسمالي ، وكل الالماس

تقريباً ، كما يستخرج منا أيضا الاورانيوم الذي يستعمل لاعداد السلاح الفظيع الذي تهدد به الامبريالية البشرية كلها .

ويؤيد عنصريو الجمهورية الافريقية الجنوبية بحماس المستعمرين البرتغاليين . اذ يجب أن تغطي انغولا وموزامبيق الجمهورية الافريقية الجنوبية من التماس مباشر بالدول المستقلة لافريقيا الجديدة . وفضلاً عن ذلك لقد أصبح الاستعمار البرتغالي منذ أمد بعيد عميلاً وخادماً ومرقباً لرأسمال اقطار الغرب ورأسمال الجمهورية الافريقية الجنوبية في مستعمراتها . وتبيع السلطات البرتغالية بالنقود القوة العاملة سائقة الناس بالعنف من موزامبيق وانغولا الى مناجم الجمهورية الافريقية الجنوبية ، وروديسيا الجنوبية . وتعقد لهذا الغرض معاهدات واتفاقيات دولية ؛ ويحصل المستعمرون البرتغاليون حصتهم لقاء الناس الذين يبيعونهم . الا أن الربح الاساسي يظل ، بالطبع ، في ايدي مالكي المناجم – ممثلي الرأسمال في انجلترا والولايات المتحدة الامريكية والجمهورية الافريقية الجنوبية ، وهولنده ، وبلجيكا ، والمانيا الغربية ، وسويسرا ، وروديسيا الجنوبية .

وتسعى شعوب افريقيا الى التغلب على مؤامرة المستعمرين هذه ، وتحطيم آخر قلعة للاستعمار في جنوب القارة .

وتطالب الدول الافريقية بحزم أشد فأشد بالقضاء على آثار الحكم الاستعماري . وقد أُكد في ميثاق منظمة الوحدة الافريقية المأخوذ في مؤتمر اديس أبابا على ضرورة انهاء كل احتلال عسكري لأي أرض افريقية ، وازالة القواعد العسكرية . وقد أحرزت نجاحات معينة في طريق تنفيذ هذا القرار . فقد ازيلت القواعد الامريكية في مراكش ، ورفعت القاعدة الفرنسية في تونس . واعلنت حكومتا كينيا وليبيا أنهما ستحققان جلاء الجنود الاجانب من اراضيهما بأسرع وقت . الا أن نضالاً عنيداً ضد التهديد العسكري ما يزال الى الامام . فما تزال في افريقيا قواعد حربية للولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا .

ويستمر النضال من اجل الاستقلال السياسي التام ، ويظل المهمة الكبرى للاقطار المتحررة من النير الاستعماري .

الاستقلال الاقتصادي هو الشرط الثاني للمحافظة على السيادة والمهمة الرئيسية للمرحلة الثانية من الثورة

تدرك شعوب الدول المتحررة ان الثورات الوطنية التحررية لا تتم بنيل الاستقلال السياسي . فبعد الظفر بالاستقلال السياسي تبرز مهمة خلق وتطوير الاقتصاد الوطني . فالاستقلال السياسي نفسه دون استقلال اقتصادي لا يمكن ان يكون تاماً وثابتاً .

ان تطوير قطاع الدولة ذو اهمية حاسمة في خلق اقتصاد مستقل عن الامبريالية . واذا شمل قطاع الدولة الفروع الاساسية للاقتصاد فبوسعه ان يناضل بنجاح ضد هيمنة الاحتكارات الأجنبية ، ويحطم البنيان الاستعماري للاقتصاد ، ويؤمن التصنيع . لهذا ليس من باب المصادفة أن تسلك الاقطار المتحررة من النير الاستعماري واحداً تلو الآخر طريق تأميم ممتلكات الشركات الاجنبية ، وتركيز المراكز القيادية للاقتصاد في قطاع الدولة .

في المؤتمر الثالث لتضامن شعوب آسيا وافريقيا في موشي (تانجانيكا) في فبراير (شباط) ١٩٦٣ طالب ممثلو الرأي العام في أكثر من ٦٠ قطراً في حزم بالقضاء على النفوذ الاجنبي في الاقتصاد ،

وتأميم توظيفات الاحتكارات الامبريالية . وتؤكد وقائع الهجوم الناجح على مواقع الاحتكارات الأجنبية أن مثل هذا الموقف يلائم الامكانيات الواقعية : تأميم قناة السويس ، ومن بعدها الشركات الاستعمارية الاخرى في الجمهورية العربية المتحدة ، وتأميم الرأسمال الاستعماري الهولندي في اندونيسيا ، وتأميم ممتلكات شركات النفط الامريكية من قبل حكومة سيلان في عام ١٩٦٣ ، والاجراءات الثورية التي اتخذتها حكومة جمهورية الجزائر الديموقراطية الشعبية بخصوص ممتلكات المضطهدين الاجانب ، الخ . .

وقد مارس الامبرياليون ضد هذه الدول التهديدات والتهويل والعقوبات الاقتصادية ، بل وشهروا السلاح كما حدث ذلك مع الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٥٦ حين شنت انجلترا وفرنسا واسرائيل بعد تأميم قناة السويس حرباً على الشعب المصري . وبنتيجة المقاومة البطولية للشعب الذي صار ضحية للعدوان ، وبنتيجة التأييد الجبار الذي قدمه الاتحاد السوفييتي والاقطار الاشتراكية الأخرى للجمهورية العربية المتحدة كان على المستعمرين أن يجلوا قواتهم ، ويخرجوا بالعار من منطقة القناة . وفي

كل مكان يتشابك النضال من اجل الاستقلال الاقتصادي تشابكاً قوياً مع النضال المعادي للاستعمار في الحقل السياسي .

وكلما تؤمم ممتلكات الاحتكارات الاجنبية يثير المستعمرون ضجة : انهم «اساؤوا اليهم» و «يسلبونهم» ! وفي واقع الأمر ان ممتلكات الاحتكارات هذه في أراض اجنبية ليست الا نتيجة للسلب ، ووسيلة للسلب . والأموال التي انفقتها الاحتكارات في بناء مشاريعها في الاقطار الضعيفة التطور اقتصادياً قد غطيت عدة مرات بالأرباح المكسوبة . وقد ردت الشعوب قيمة هذه الممتلكات بعملها القسري الشاق ، وبالجوع والموت .

وقد حصلت الآن الاقطار النامية على النجاحات الاقتصادية الأولى . في عام ١٩٦٤ ازداد الانتاج الصناعي لاقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية مرة ونصفاً بالقياس الى عام ١٩٤٨* . فاذا كانت الزيادة السنوية المتوسطة في الانتاج الاجمالي في الاقطار المستعمرة والتابعة لا تزيد عن واحد بالمائة

---

* مجلة «الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية» ، موسكو ، العدد ١ ، عام ١٩٦٤ ، صفحة ١٣ .

قبل الحرب العالمية الثانية فانه الآن تؤلف ٤ بالمائة . وقد زادت حصة الاقطار النامية في الانتاج الصناعي للعالم الرأسمالي في الفترة بين ١٩٤٨ ـ ١٩٦١ من ٩,١ بالمائة الى ١٣ بالمائة . وهذه الزيادة نتيجة لنيل الاستقلال السياسي والقضاء على الاستغلال الاستعماري . الا أن ذلك ليس الا خطوة أولى .

فأية مهمات سيتوجب على الاقطار النامية حلها في الميدان الاقتصادي ؟ ان مثل هذه الارقام تشهد على جسامة هذه المهمات : يؤلف الدخل السنوي للفرد الواحد من السكان في هذه الاقطار ٦٠ دولاراً بالمعدل أما في الاقطار الرأسمالية المتطورة فـ ٨٠٠ دولار* .

ولسد الهوة في مستوى الحياة ، ولانهاض اقتصاد الاقطار النامية تجري تغييرات اجتماعية واقتصادية مختلفة الاشكال . الا أن جوهر هذه التغييرات يظل واحداً على اية حال : القضاء على سلطة ونفوذ الاحتكارات الاجنبية ، وتطوير قطاع الدولة . وقطاع

---

* مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» ، العدد ٣ ، السنة ١٩٦٣ ، الصفحة ٦٤ من الطبعة الروسية .

الدولة في غالبية الاقطار النامية لا يتألف الا من عدة مشاريع الدولة . ووزنها النوعي في الاقتصاد غير كبير ، ولا يُغير الشكل الاساسي للعلاقات الانتاجية . وفي جملة من الاقطار تكون العلاقات الاقطاعية-الرأسمالية هي هذا الشكل السائد . وفي مجموعة كبيرة من الاقطار هي العلاقات العشائرية-القبلية في نظام الاقتصاد الطبيعي والبضائعي الصغير . وفي هذه الظروف هناك خطر من امكانية خضوع قطاع الدولة لتأثير البرجوازية المحلية والاستعمار الجديد . وقد يحدث ما يلي — وهذا موجود فعلاً في عدد من الاقطار — أن يقع قطاع الدولة تحت اشراف الامبرياليين نتيجة للحل الوسط مع الاستعمار الجديد . وهذا يحدث حين لا تحدد الدولة مساهمة الرأسمال الاجنبي في المشاريع المختلطة .

وقد أخذ الامبرياليون يطبقون تاكتيكاً جديداً في علاقتهم مع قطاع الدولة آخذين بالحسبان حقيقة ان قطاع الدولة يترسخ بثبات في اقتصاد الاقطار النامية .

والآن لا ينكر الامبرياليون ضرورة التصنيع . انهم مجبرون الآن على ان يتحدثوا رغم ارادتهم عن تصنيع الاقطار النامية بالرغم من أن ما أحد منهم

تقدم بحل صحيح لمسألة طرق التصنيع ، وطرائق تحقيقه ، والاهداف التي يجب ابتغاؤها منها . ويبدأ الرأسماليون بالموافقة على تقديم المساعدة لقطاع الدولة . الا أن هذه «المساعدة» تقدم بقصد الحيلولة دون التاميم او دون تكوين قطاع مؤمم في الفروع القيادية للاقتصاد . الا أن تطوير الصناعة بالذات ضروري للاستقلال الاقتصادي الحقيقي .

وقد يلعب الرأسمال الاجنبي دوراً ايجابياً معيناً ، الا أن ذلك لا يتوقف على «النوايا الحسنة» لاصحاب هذا الرأسمال ، بل على أية سياسة تنتهجها الدولة الوطنية بشأن الرأسمال الاجنبي : أتسمح له بنهب البلاد أو تستخدم التوظيفات الاجنبية للاسهام في التطور الصناعي .

الطريق غير الرأسمالي للتطور شرط لتعزيز الاستقلال الاقتصادي ، وضمان للتقدم

بالرغم من النجاحات في التطور الاقتصادي للاقطار المتحررة من الاستعمار فان وضع هذه الاقطار ما يزال صعباً . وتتطور الصناعة ببطء والزراعة

التي ما يزال يسود فيها المحصول الواحد ، اي انتاج محصول أو محصولين كالكاكاو ، مثلاً ، أو الفول السوداني ، لا تؤمن احتياجات الاقتصاد من الخامات ولا حاجات السكان من المنتجات الغذائية . وفي كثير من الاقطار النامية يزداد العجز في الميزان التجاري وميزان الدفع . ويدفع النضـــال من اجل التقدم الاقتصادي شعوب الاقطار النامية الى البحث عن اشكال جديدة للتطور الاقتصادي والاجتماعي . ونظراً لهذا يبرز سؤال : الى أين المسير ، وفي اي طريق – طريق الرأسمالية ام طريق الاشتراكية ؟

يحاول سياسيو الامبريالية وايديولوجيوها اقناع شعوب الدول الفتية زاعمين أن التطور الاقتصادي الناجح لا يمكن الا عن الطريق الرأسمالي ، والأكثر من ذلك يزعمـــون ان هذا الطريق هو الطريق الممكن الوحيد . ويقولون ان حكومات الدول المتحررة يجب أن لا تهتم بالفلاح والعامل بل برجل الاعمال – صاحب المشروع الخاص الذي يزعمون أنه وحده قادر على تبديل البلاد .

ويعلن السياسيون البرجوازيون ان البلدان الضعيفة التطور اليوم تستطيع ان تستفيد من التجربة التاريخية للاقطار الرأسمالية البارزة ، وتسلك في وقتنا الحاضر

نفس الطريق الذي سلكته في الماضي اقطار أوروبا الغربية او الولايات المتحدة للتصنيع .

وهذا خداع كبير للغاية . لا توجد ولا يمكن ان توجد وحدة في المصائر التاريخية بين الاقطار التي ما تزال الامبريالية المحتضرة تحكم فيها وبين الدول الوطنية الفتية التي طلعت الى طريق التطور التاريخي في العصر الحديث .

إن تكرار التطور الرأسمالي لانجلترا او الولايات المتحدة الامريكية او اليابان من قبل الاقطار الضعيفة التطور – غير ممكن اليوم سواء بحكم الظروف الداخلية أو الظروف العالمية . فان الطبقة العاملة والفلاحين يرفضون السير في الطريق الرأسمالي القديم – طريق الاستقلال والافقار . ولا يمكن للدول الفتية ولا تريد أن تستفيد من تلك الظروف التي عملت على اغناء برجوازية الدول الامبريالية الحالية .

لقد استغل الرأسماليون الاقطار المتخلفة كأسواق لتصريف بضائعهم ، وكمصادر للخامات . لقد كانت انجلترا واقطار الغرب الأخرى التي سارت في طريق التطور الرأسمالي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر تتعامل مع العالم الضعيف التطور من الناحية الاقتصادية – عام كامل لم تكن فيه صناعة رأسمالية وكان من

السهل الحصول على الاسواق ومصادر التزود بالاغذية والخامات . والظروف الحالية تناقض بشكل حاد ظروف القرن الثامن عشر والتاسع عشر . فان أقوى الاقطار الرأسمالية تسعى لخلق صعوبات لا تذلل للتطور الاقتصادي التام الشامل للدول الفتية .

كانت انجلترا وفرنسا والمانيا قبل التصنيع وقبل الثورات الصناعية في القرنين ١٨ او ١٩ أغنى بشكل عام من الاقطار الافريقية الحالية ومن غالبية الاقطار الاسيوية . فقد كانت تملك انتاجية العمل اعلى ولم تكن تعاني من النير الاستعماري الطويل الأمد ولا من النهب . بل بالعكس كانت أكبر دول الغرب تنهب الاقطار المتخلفة ، واستطاعت أن تحقق لنفسها التطور الرأسمالي ليس على حساب البروليتاريا والفلاحين وجميع شغيلة بلدانها فحسب ، بل وعلى حساب الشعوب المستعمرة والتابعة . وقد كتب جواهرلال نهرو عن صدق تام أن « الجزء الكبير من قيمة تصنيع اوروبا الغربية قد دفعته الهند والصين والاقطار المستعمرة الأخرى التي كان اقتصادها تستعبده الدول الاوروبية » *.

* جواهرلال نهرو . « اكتشاف الهند » ، موسكو ، ١٩٥٥ ، صفحة ٣١٩ .

والرأسمالية ، كما تدل التجربة التاريخية ، لا تؤمن التطور السريع للاقتصاد . ان الرأسمالية هي طريق الحرمان والعذاب للشغيلة . واذا سلكت الاقطار الضعيفة من الناحية الاقتصادية الطريق الرأسمالي فانها ستحكم على نفسها بالتخلف حتماً . فسيتعمق التفاوت الاجتماعي ، ويُقضى على الطبقة العاملة في هذه الحال بالعمل المضني الذي تذهب ثماره الى حفنة من الرأسماليين . وتقود الرأسمالية الفلاحين الى الخراب ، أما الطبقات المتوسطة في المدن ـ الحرفيون والتجار الصغار فسيعانون لا محالة في صراع المزاحمة مع الرأسمال الكبير . وتحرم جماهير الشغيلة في عهد الرأسمالية من امكانية الاستفادة من منجزات الثقافة والتعليم .

على عكس الرأسمالية تعني الاشتراكية السعادة للشعوب . والاشتراكية تؤمن النهوض السريع للاقتصاد والثقافة . ويزول استغلال الانسان للانسان ، والتفاوت الاجتماعي ، ويُقضى على البطالة . ويحصل الفلاحون في عهد الاشتراكية بعد توزيع الاراضي عليهم على امكانية السير في طريق توحيد استثماراتهم الصغيرة في التعاونيات . وتقدم لهم المساعدة في تطوير المزارع التعاونية . وتيسر الدولة للفلاحين التكنيك الزراعي

المتقدم ، وتقدم لهم الامكانية للاستفادة من منجزات العلم الزراعي . وفي عهد الاشتراكية وحدها يمكن أن يؤمن مستوى عال مادي وثقافي لحياة جميع الشغيلة . وتوفر الاشتراكية الامكانية للجماهير الشعبية لامتلاك منجزات الثقافة العالمية وتكشف الفرص الكبيرة امام المثقفين – فرص الابداع للشعب .

ان اختيار الطريق – غير الرأسمالي أو الرأسمالي – متروك للشعب . وتملك شعوب الاقطار المتحررة الآن امكانية تقرير مستقبلها بنفسها . والوضع العالمي لا يسمح بأن يعيقها أحد في هذا الخصوص . ان اختيار الطريق غير الرأسمالي للتطور يتعلق بالشعوب نفسها . والطريق غير الرأسمالي للتطور يؤمن بكفاح الجماهير الشعبية من أجله .

وقد أيدت الطريق الاشتراكي للتطور دول فتية عديدة – الجمهورية العربية المتحدة ، الجزائر ، سوريا ، بورما ، مالي ، غينيا ، غانا ، الخ .. وقد أجاب ميثاق العمل الشعبي عن لماذا اختار شعب الجمهورية العربية المتحدة الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي بأن هذا الحل هو الضرورة التاريخية التي يفرضها الواقع ومطامح جماهير الشعب الواسعة ، وطابع العالم المتغير في النصف الثاني

من القرن العشرين . ليست الرأسمالية بقادرة على تحقيق التقدم الاقتصادي للاقطار المتخلفة ـ ان هذا الاستنتاج يثبته جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورجال دولة وسياسيون آخرون لاقطار آسيا وافريقيا في اقوالهم .

ولكن كيف يمكن الوصول الى الاشتراكية في الاقطار المتخلفة المنهوبة اذا كان معلوماً أن الاشتراكية تفترض خلق صناعة حديثة جبارة ، وزراعة ممكننة ضخمة ، ومستوى ثقافي عال للشعب ؟

بالطبع ان المصاعب الواقفة في طريق حل المهمات الاشتراكية في الاقطار الضعيفة التطور هائلة . وتأخرها عن الدول المتقدمة للعالم الحديث كبير للغاية .

لقد صنع الهوة بين المناطق المختلفة من الارض تطور الانسانية غير المتساوي في العصور الماضية ، وقد عمقتها الامبريالية ، والآن تريد الابقاء عليها الى الأبد .

وتقوي منجزات العلم والتكنيك الحديثين سلطة الانسان على الطبيعة . وتخلق ظروفاً تستطيع معها المصادر التي لا تنضب لطاقة وقوة التكنيك الحديث ، تأمين تلبية حاجات **جميع** سكان الأرض ، **وجميع** الناس ، وليس مجرد أقلية مستغلة .

في نفس الوقت يجوع في العالم ما لا يقل عن ٥٠٠ مليون انسان ، حسب احصائيات هيئة الامم المتحدة ، ويحصل زهاء مليار انسان على تغذية سيئة . وفي كل عام يموت من المجاعة ما لا يقل عن ١٠ ملايين انسان . وعلى هذا النحو يجوع كل ثاني اثنين من سكان الأرض .

يسمى القرن العشرون بقرن الكهرباء . ولكن كيف توزع الكهرباء وتستخدم في العالم الرأسمالي ؟ ان ما يصرف من الطاقة الكهربائية على انتاج السلاح الذري وحده في امريكا الشمالية أكثر بكثير من الاستهلاك العام لهـا في امريكا اللاتينية ، وأكثر من ذلك في افريقيا .

ان قرننا هو قرن النجاحات اللامعة للمعرفة الانسانية ، وفي نفس الوقت لا يعبر عقبات المدرسة نصف اطفال العالم ممن لم يتجاوزوا الخامسة عشر من العمر ، في اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بصورة رئيسية ، ويظلون أميين .

ان التحرر الاقتصادي ، والظفر بالاستقلال الاقتصادي من قبل الدول الجديدة في افريقيا وآسيا لا يمكن ان يكون عملية غير معقدة للغاية وغير صعبة . فان هذه الدول لا تملك غير قوى منتجة متأخرة

وبدائية في الجزء الكبير منها ؛ والبنيان الاقتصادي فيها احادي الجانب ، وكثير منها أقطار ذات محصول زراعي واحد ؛ وهي في تبعية تامة للتجارة الخارجية ، ولتصريف انتاجها من المحصول الزراعي الواحد ، ولتجهيزها بالمعدات والوقود والبضائع الاستهلاكية ؛ وهي غير مؤمنة بالمواد الغذائية ، ولا تلبى فيها حتى أبسط حاجات الشعب الاخرى ؛ وفي كل مكان تقريباً يوجد اكتظاظ زراعي كبير بالسكان ، وبطالة ؛ ولا توجد رؤوس اموال للتطور الاقتصادي ، ولا كوادر كفوءة للصناعة والنقليات ؛ وفي عدد من الاقطار ما تزال الاحتكارات الأجنبية تسود ، الخ ..

وكل هذه المصاعب يضاعفها احتمال اخضاع الرأسمال الامبريالي واستغلاله للدول المستقلة ايضاً ، وهو يفعل ذلك في الواقع : ينهبها دون احتلال عسكري. ويحدث ذلك عن طريق جهاز السوق العالمي ، وعن طريق التبادل التجاري غير المتكافئ . فالتقسيم العالمي للعمل في عهد الامبريالية ما هو الا سيطرة الاحتكارات على صعيد العالم الرأسمالي . فنحن نعرف أن هناك فرقاً هائلاً بين الاقطـــار الامبريالية وبين المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة في مستوى تطور القوى المنتجة ، وفي القوة الانتاجيـــة الاجتماعية للعمل .

وهناك احصائيات ، مثلاً ، عن ان انتاجية العمل في زراعة الولايات المتحدة الامريكية في الخمسينيات كان ٣٠ مرة أكثر تقريباً مما في الهند ، وانتاجية العمل في زراعة القطن في الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة تكاد تكون أكثر بخمسين مرة مما هي في زراعة القطن في مصر . الا أن السوق العالمية لا تعنيها الظروف التي تنتج فيها البضاعة ، ولهذا يباع القطن المصري بنفس سعر القطن الامريكي .

وأضعف من ذلك مراكز اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية في العلاقات الاقتصادية العالمية ، وسبب ذلك أن الرأسمال الضخم للدول الامبريالية وضع اسعاراً احتكارية عالية بشكل فاحش للبضائع الصناعية ، واسعاراً احتكارية واطئة بشكل زهيد للخامات والمواد الغذائية . وهو يفرض هذه الاثمان على الاقطار النامية ، وبنتيجة ذلك يحصل في كل عام على ١٤–١٦ مليار دولار من الربح الزائد . وهذا يزيد حتى ذلك المقدار غير القليل من الربح الذي تحصل علية الاحتكارات من الاستغلال المباشر لشغيلة الاقطار الضعيفة التطور في المشاريع زيادة تصل الى خمسة مليارات دولار في العام .

ويسعى الرأسمال الامبريالي الى المحافظة على مركزه

الامتيازي ، وارباحه ،وارباحه الزائدة ، التي يحصل عليها في المستعمرات واشباه المستعمرات السابقة . وهو يود لو يربط الدول الفتية الى الأبد بالاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وابقاءها في وضع الأمم المستغَلَّة ، التوابع الزراعية والخامية للغرب المتصنع ، وجعلها تدور دائماً في الفلك الذي قضت به قوانين الاستغلال العالمي . ولهذا الغرض تستخدم الامبريالية بشكل واسع كل امتيازاتها محاولة الابقاء على احتكارها في تجهيز المعدات ، والاعتمادات والقروض ، والمعارف التكنيكية . وهي الآن تستعين بقناع مخادع ، وتخفي خططها ، وتتحدث عن «المساعدة» ، وتقدم «النصائح» الاقتصادية والتكنيكية والسياسية ، وتطلق الرياء والوعود والصدقات . لقد تغيرت الازمان : في الماضي كان الناس يباعون ، والآن يحاولون ان يشتروهم . الا أن كل اساليب الامبرياليين الجديدة هذه التي سميت بالاستعمار الجديد تتبع الاهداف القديمة في الاخضـــاع والاستغلال والسلب .. وكل «مساعدة» المستعمرين الجدد هي وسيلة جديدة تستمر الاحتكارات بواسطتها في اخراج الثروات الهائلة من المستعمرات وأشبـاه المستعمرات السابقة . وفي العادة يطالب الامبرياليون عند طرح «مساعدتهم» بتغيير الخطط

الوطنية للتطور الاقتصادي وافسادها ، واعادة وضع هذه الخطط لارضـــاء الاحتكارات الأجنبية ، تحويل هذه الخطط الى اداة للاشراف المالي الأجنبي على البلاد . وقد عبر يوثانت السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة في محاضرة في بالتيمور (الولايات المتحدة) عن الرأى في أن تخفيض اسعار الخامات التي «كانت تجلب المنفعة للاقطار الغربية الغنية ليس فقط قد أنقص للصفر المقدار الكلي لمساعدة الغرب ، بل في كثير من الاحيان ادى الى تقليل كلي للدخل القومي» * وقد لاحظ بالم دات الشخصية المعروفة في الحركة العمالية البريطانية عن «المساعدة» الامبريالية في صدق : «يأخذون من المريض الدماء ألتـــارأ ليحنقوا في شرايينه بعض القطرات اشفاقاً على حالته الصعبة!» ** .

وتحافظ الامبريالية على فرصها لاستغلال اقطار افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، وستهبها حتى تنتزع نفسها من نظام الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

---

* مجلة «زاروبيجوم» ، ١٩٦٢ ، موسكو ، العدد ٤٩ ، ٨ كانون الاول (ديسمبر) ، ص ٨ .

** بالم دات . «ازمة بريطانيا والامبراطورية البريطانية» ، موسكو ، ١٩٥٩ ، صفحة ٣٩٦ .

ويريد الاقتصاديون والسياسيـــون البرجوازيون تصوير جميع مصاعب الوضع الراهن لآسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية كمشكلة لا تقبل الحل . وهم يجادلون على النحو التالي . ان الاقطار الضعيفة التطور فقيرة لأن انتاجية العمل فيها واطئة . وانتاجية العمل واطئة لأن التكنيك البدائي للانتاج ، واساليبه متخلفة . ولكن رفع الانتاج المتخلف الى المستوى الحديث يتطلب توظيفات اموال ضخمة . والاقطار الضعيفة التطور أفقر من أن توفر وتضع رؤوس الاموال على نطاق واسع . وانغلقت الدائرة ، وعاد الجول الى نقطة البدء دون ان يجد مخرجاً .

الا أن هذا الوضع الذي لا مخرج منه لا وجود له الا في رؤوس الاقتصاديين والسياسيين الرجعيين الذين ينطلقـون من عدم تغير العلاقات الاجتماعيـة والاقتصادية ، وثبات تقسيم العمل الاستغلالي العالمي الذي فرضته الامبريالية . أما بالنسبة للذين يرفضون هذه النظرات البرجوازية الضيقة فلا وجود لأية دائرة مفرغة . ان المخرج من استبداد الرأسمال الاجنبي هو التطور الاقتصـــادي المستقل في الطريق غير الرأسمالي . ان المخرج من قيود التقسيم الامبريالي للعمل هو الصداقة مع الاقطار الاشتراكية والعلاقات

الاقتصادية القوية معها ، وترسيخ الجبهة الموحدة للاقطار النامية نفسها ضد الاستغلال العالمي .

ان المساندة المتبادلة والتضامن بين الدول الوطنية الجديدة ، الذي ظهر بوضوح في جملة من الحركات السياسية ضد الاستعمار والعدوان ما يزال غير قادر على أن يؤثر بمثل هذه القوة في الحقل الاقتصادي . وفي وسع تلاحم الاقطـــار الناميــة ضد الاستغلال الامبريــــالي ان يلعب دوراً كبيراً في تضييق هـذا الاستغلال ، وفي خلق ظروف أكثر فائدة لها في التجارة العالمية . كما ان قطاع الدولة في الاقتصاد ، واشراف الدولة على التجارة الخارجية مدعوان ايضاً الى ان يلعبا دوراً مهماً في النضال ضد الاستغلال العالمي ، في الدفاع عن الاقتصاد الوطني . ومع ذلك فلا يمكن قهر هذا الاستغلال الا عن طريق التطور غير الرأسمالي ، وفي التعاون الوثيق مع اقطار النظام الاشتراكي العالمي . انه سيقهر بقدر ما يتطور اقتصاد الاقطار الضعيفة التطور ، وبمقدار ما يسبق العـالم الاشتراكي العالم الرأسمالي في الحجم الكلي للانتاج وانتاجية العمل ، ويصبح المنتج العالمي الرئيسي وأكبر مجهز للبضائع في السوق العالمية .

وقد احرزت نتائج غير قليلة بالفعل في هذا المجال . فقد جردت الاقطار الاشتراكية الامبرياليين من وضعهم الاحتكاري السابق كمجهزين للمعدات للبناء الصناعي .

وهذا مثل ساطع . حاولت الدول الغربية بكل وسيلة أن تعيق انشاء مصانع التعدين والانشاءات الآلية الثقيلة في الهند . وبعد أن عرض الاتحاد السوفييتي على الهند مساعدته في بناء كومبينة تعدينية جبارة ، ومشاريع أخرى ، عند ذاك فقط وافقت شركات انجلترا والمانيا الغربية على أن تقدم للهند قروضاً لبناء مصنعين للفولاذ . والآن بنيت جميع المصانع التعدينية الثلاثة . ان الكومبينة التعدينية التي بنيت في بهيلاي وفق المشروع السوفييتي أضخم بكثير من المصنعين الآخرين ، وتقدم منتجات أعلى نوعية . وقد ساعد المهندسون والعمال السوفييتيون آلافاً من الهنود على اتقان مهن المعدنين . وهذا ما لم يفعله الانجليز ولا ممثلو المانيا الغربية .

وقد اعترف ولتر لبمان الصحفي الامريكي المشهور والمعقب للقضايا الدولية بان «الاقطار الضعيفة التطور لا تتوقف علينا لأن لها مصدراً بديلاً للحصول على المعدات الاساسية والمساعدة التكنيكية ، ان

ظهور الاتحاد السوفييتي بصفة منافس هو احد الاحداث التاريخية الكبرى في عصرنا . ان هذا الظهور يغير بشكل جذري وضع الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها ويضاعف ، بدرجة هائلة ، قوة الشعوب الضعيفة التطور» *.

ومنذ أن جرد الاتحاد السوفييتي مع الاقطار الاشتراكية الاخرى الدول الرأسمالية من الوضع الاحتكاري في ميدان القروض أضطر الامبرياليون الى البدء بعرض القروض على الاقطار الضعيفة التطور بفوائد أقل ارتفاعاً من ذي قبل ، والتقليل من مطالبهم السياسية من هذه الاقطار .

وحصلت تغيرات في العلاقات الاقتصادية العالمية لصالح الاقطار النامية ، وباضرار في الاستغلال الامبريالي ، رغم أن هذه التغيرات تجري ببطء ، وبطريق متعرج .

ويثير الامبرياليون الضجيج الكثير عن «مساعدتهم» للدول النامية . ولكن متى بدأت هذه «المساعدة»؟ وأية ظروف تاريخية وضعت مسألة المساعدة في

---

* «قضايا السلم والاشتراكية» ، ١٩٦٤ ، العدد ٣ ، صفحة ١٥ من الطبعة الروسية .

جدول الأعمال ؟ وأين كانت «مساعدة» الامبرياليين حتى عام ١٩٥٠ ، مثلاً ، حين كانت الدول المتحررة قليلة والامبريالية ما تزال تأمل في المحافظة على النظم الاستعمارية عن طريق التعسف والارهاب ؟ ان أنهيار النظام الاستعماري السريع ، ذلك الانهيار الذي ساعد عليه العالم الاشتراكي بنشاط هو وحده الذي أجبر الغرب على البدء بالتحدث عن «المساعدة» .

ان الزمن يعمل لصالح القوى الجديدة ، لصالح الاشتراكية وضد الامبريالية والاستغلال .

ان لحاق الدول الفتية بالاقطار الرأسمالية البارزة ، ولو بالحجم الكلي للانتاج الصناعي ، وبالوتيرات الحالية لنمو الانتاج سيحتاج الى ٧٠ــ٨٠ سنة . الا أن في اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية يعيش من السكان ضعف ما يعيش في الدول الرأسمالية المتطورة ، ووتيرات نموهم ايضاً أكثر بمقدار الضعف . ألا يعني هذا أن الاقطار الضعيفة التطور الآن تحتاج الى قرون للحاق بالغرب في الانتاج بالنسبة للفرد الواحد من السكان ؟ لا . ان هذا يعني أن الضرورة القصوى هي الاسراع بوتيرات التطور الاقتصادي . وقد أظهر التاريخ أن الرأسمالية لا تقدم التعجيل الضروري للاقطار الضعيفة التطور حتى في أكثر الظروف

ملائمة . كما اظهر أن الاشتراكية هي المعجل الجبار للتطور الاجتماعي كله بما في ذلك الاقتصادي حتى في اقل الظروف ملائمة ـ في ظروف التأخر وخراب البلاد .

وينطوي العصر الجديد على امكانيات عظيمة للتعجيل الجبار للتطور الاقتصادي لم تكن تملكها اقطار أوروبا الغربية في اوقات ثورتها الصناعية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر . فالقوى المنتجة الجديدة ، والتجربة العلمية والانتاجية التكنيكية التي تمتلكها الانسانية من ناحية ، ووجود الاقطار الاشتراكية التي تقدم المساعدة الكبيرة للشعوب المتحررة من الناحية الأخرى ، كل هذه يمكن أن يكسب الزمن بشكل هائل ، ويقلل الى الحد الادنى موعد القضاء على الهوة الحالية المريعة بين الاقطار المتخلفة والمتقدمة .

واليوم يمكن استخدام الطاقة الكهربائية بشكل واسع ، وبناء المحطات الكهربائية الجبارة على الأنهار العظيمة في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية ، والمحطات الكهربائية الحرارية والذرية . وتستطيع الكهرباء أن تغير بسرعة وجه هذه القارات القديمة ، في حين بدأت الثورة الصناعية في أوروبا قبل مائة

وأكثر من مائة سنة من بداية الاستخدام الصناعي للطاقة الكهربائية .

ويمكن أن تستخدم أغنى مستودعات النفط والغاز كقاعدة لتطوير فرع صناعي له أكبر مستقبل - الكيمياء التركيبية القادرة على ان تقدم للشعب الملابس والاحذية ، والادوية ، واللوازم المنزلية . بل وفي وسعها ان تقدم الخبز واللحوم لأن الكيمياء تنتج الاسمدة المعدنية للزراعة .

ان المحركات الكهربائية ، ومحركات الاحتراق الداخلي ، والحفارات الجبارة ، وآلات الثقب - كل هذه تستطيع بزمن قصير ان تصحح اخطاء الطبيعة ، وذنوب الاجيال السابقة التي لم تكن تعرف معاملة الأرض معاملة صحيحة وتستطيع أن تعيد الحياة الى الصحراء ، وتحول الانهار الى السهول الخصيبة والمحرومة من الماء في افريقيا الشمالية والهند وهندوستان ، والشرق الادنى .

وتكمن امكانية عظمى في التجربة الاجتماعية والسياسية للانسانية ، في تجربة البناء الاشتراكي . انها امكانية تاريخية جديدة كانت اقطار أوروبا الغربية في زمنها محرومة كلياً منها . وتستطيع شعوب الاقطار المتحررة ان تستفيد من النهج المخطط للاقتصاد

في المصالح العامة ، وفي مجالات الدولة ولا تسمح بالاضطراب والفوضى والاسراف والانانية الفردية عند خلق اقتصاد جديد.

وكل هذه التغييرات يمكن ان تحقق بالجهود المشتركة لعشرات او مئات الملايين من الناس في المناطق الشاسعة للاقطار المختلفة اليوم . وتشعر شعوب هذه الاقطار بوحدة مصالحها وتعزز تضامنها . فلا نشاط مجزأ لرجال اعمال متفرقين ومتعادين فيما بينهم ، ومستعدين لإلتهام بعضهم بعضاً ، ولا مقاييس صغيرة لمشاريع ومناطق صناعية متفرقة تظهر عفواً بل بنـــاء مجتمع جديد موحد الهدف خاضع لعقل العلم النير ، وموجه بالمصالح الحياتية للشعب ، ومقبول ومسند بحماس من قبل الشغيلة كلها ــ ذلك هو المستقبل الذي ينتظر الجزء الكبير من الانسانية الذي يعيش الآن في عوز وحرمان .

وتدل تجربة الجمهورية العربية المتحدة والجزائر واقطـــار أخرى على أن القوى المعادية للامبريالية تستطيع ، وهي تدبر أمورها بلا رأسماليين ، أن توقظ الحماس الفائر في نفوس جماهير الشغيلة ، وتطلق قوة انتاجية جديدة لا مثيل لها في العهود الاستعمارية ــ إلا وهي الحماس الشعبي .

أي الطبقات تؤيد الطريق غير الرأسمالي للتطور ؟
في الاقطار التي توجد فيها صناعة تكون الطبقة العاملة المناضلة من اجل ايصال الثورة الوطنية التحررية الى نهايتها أكثر الطبقات تمسكاً بالطريق غير الرأسمالي للتطور . وبمقدار تطور الصناعة يزداد عدد الطبقة العاملة ، ويرتفع دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية للاقطار النامية . والفلاحون هم أصدق حليف للطبقة العاملة . وتحالف الطبقة العاملة والفلاحين هو الشرط الرئيسي للنضال من اجل تعميق التبدلات الديموقراطية ، ومن اجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي . وهذا التحالف هو نواة الجبهة الوطنية الواسعة التي تضم الطبقة العاملة والفلاحين والحرفيين والتجار الصغار ، وغيرها من الطبقات المتوسطة في المدن ، والمثقفين الديموقراطيين ، وكذلك البرجوازية الوطنية .

وفي الاقطار الآسيوية والافريقية التي لم تتكون فيها بعد طبقة عاملة ويؤلف الفلاحون الغالبية الساحقة من السكان يمثل المثقفون الديموقراطيون ويدافعون عن المصالح الجذرية للشغيلة . ويقف المثقفون الديموقراطيون الثوريون بحزم ضد تركة الحكم الاستعماري ، وضد الاشكال الجديدة للعبودية الاستعمارية . وتظهر ديموقراطية المثقفين في أن

التدابير الاجتماعية والاقتصادية الاساسية حين يقومون بها وهم في السلطة تستجيب لمصالح الشغيلة . ويؤيد الديموقراطيون الثوريون من وسط المثقفين طريق التطور غير الرأسمالي ، ويقومون ايضاً بتدابير تضع الأساس لبناء الاشتراكية .

وللبرجوازية الوطنية صفة مزدوجة . وبمقدار ما تكون هذه الفئة من البرجوازية غير مرتبطة بالامبريالية ، وذات مصلحة في تحقيق المهمات الاساسية للثورة المعادية للامبريالية والمعادية للاقطاعية تكون قادرة على احتلال مواقع تقدمية والمساهمة في حل المشاكل الوطنية العامة .ومع ذلك ففي مجرى التطور الاجتماعي لا بد من ان تحتد العلاقات بين الشغيلة والبرجوازيين . وبمقدار نمو المتناقضات الطبقية تظهر البرجوازية الوطنية ميلاً الى الاتفاق مع الامبريالية والرجعية الداخلية .

إن المناداة بالاشتراكية كهدف في التطور في عدد من الاقطار المتحررة تصاحبها اصلاحات اقتصادية واجتماعية كبيرة . وهذه الاصلاحات تتجاوز حدود التدابير التقليدية التي اتخذت من قبل في الاقطار الضعيفة التطور .

وتساعد التدابير الاجتماعية الاقتصادية التقدمية على خلق تمهيدات موضوعية لتطور الاشتراكية في الاقطار النامية ، وبالطبع كلما كانت الاصلاحات أكثر انتظاماً اتسعت هذه التمهيدات . ولهذا ينشأ نضال حولَ هذه الاصلاحات . وفي الاقطار التي ليست فيها طبقة برجوازية ناضجة يسهّل اجراء الاصلاحات ، ويمكن أن تحدث بوتيرات اسرع . وهذا ما يحدث في ماليْ مثلاً . وبالعكس في الاقطار التي توجد فيها برجوازية وطنية متطورة نسبياً يصطدم اجراء التبدلات الديموقراطية بمقاومة من جانبها . وهذا ما يحدث في الجمهورية العربية المتحدة .

في مالي لم يحدث انقسام طبقي للمجتمع في عهد الحكم الاستعماري . ولم تتطور الاقطاعية ، ولم يتسن الوقت لقيام العلاقات الرأسمالية ايضاً . ولا وجود للبرجوازية الوطنية المحلية في البلاد . وهناك فئة غير كبيرة من التجار المتوسطين ، ومجموعة صغيرة من رجال المشاريع . وليس لهم تأثير سياسي في البلاد . ويعيش الفلاحون الذين يؤلفون الغالبية الساحقة من السكان في مرحلة العلاقات القبلية المشاعية ، ويمثلون وسطاً يولد الاستثمارات الخاصة الصغيرة . هذه هي الظروف الاجتماعية والاقتصادية

التي تجري فيها البلاد تحولات تقدمية ذات طابع غير رأسمالي . ويملك شعب مالي كل الامكانيات لعدم السماح بتطور البلاد في الطريق الرأسمالي .

وفي الجمهورية العربية المتحدة يوجد بنيان اجتماعي مختلف . ففي البلاد تفاوت طبقي محدد . وعندما اندلعت الثورة المعادية للاستعمار في مصر كانت جميع طبقات المجتمع الرأسمالي الاساسية قد تكونت . وقبل الثورة كانت السلطة في البلاد بيد الامبرياليين والاقطاعيين المحليين والبرجوازية الكومبرادورية . وفي مجرى تطور الثورة الوطنية التحررية جرت تغيرات جدية : حرم الاقطاعيون من السلطة الاقتصادية والسياسية ، إلا أنه مقابل ذلك تقوت مواقع البرجوازية الوطنية . وقد وقفت البرجوازية في الجمهورية العربية المتحدة ضد الامبريالية ، الا انها حاولت احتلال مكان الامبرياليين المطرودين ماضية في استغلال الشغيلة . واعلنت البرجوازية عن مزاعمها في الدور القيادي ، وحاولت اخضاع التطور الاقتصادي لمصالحها الطبقية . واصطدمت مصالح البرجوازية مع المصالح الشعبية ، ومتطلبات التطور الاجتماعي الاقتصادي للبلاد . وفي مثل هذه الظروف أجريت في يوليو (تموز) ١٩٦١

مراسيم التأميم ، وتعيين الحد الأعلى لملكية الارض . وكانت هذه ضربة خطيرة للبرجوازية الكبيرة والمتوسطة . وقد ثبت الدستور الجديد للجمهورية العربية المتحدة المتخذ في ربيع ١٩٦٢ انتقال ٩٠ بالمائة من وسائل الانتاج الاساسية في البلاد الى ايدي الشعب ، والدولة . وأصبحت ملكية الدولة الى جانب الملكية التعاونية هي السائدة في البلاد . وأعلن أن طريق البناء الاشتراكي هو الاتجاه الرسمي لمصر .

إن بروليتاريا المستعمرات السابقة لم تستطع لاسباب تاريخية ان ترأس الثورة الوطنية التحررية . ولكن هذا لا يعني ان البروليتاريا ليست قوة جدية في النضال الوطني التحرري . في البلاد التي وفقت جماهيرها الشعبية بنيل الاستقلال دون حرب أمنت الطبقة العاملة الى جانب الفلاحين والمثقفين الديموقراطيين بلوغ الاستقلال والقضاء على الحكم الاستعماري .

ما هو عدد البروليتاريا الصناعية في الاقطار النامية ؟

في امريكا اللاتينية يوجد ٢٧ مليون عامل صناعي ، وفي آسيا ١٤ مليوناً ، وفي افريقيا

٤ ملايين* . ويظهر دور البروليتاريا بشكل مختلف في مختلف الاقطار السائرة في طريق التطور المستقل . ولكن الطبقة العاملة في كل مكان هي تلك الطبقة التي لها مصلحة كلياً والى النهاية في انتصار الاشتراكية .

وقد ادى ارتفاع مكانة الطبقة العاملة ، وتطور الحركة العمالية في الاقطار المتحررة من التبعية الاستعمارية الى نمو تأثير النقابات كمنظمات جماهيرية للعمال ، ودورها في حركة التحرر الوطني . إلا ان دور الطبقة العاملة ومنظماتها ليس متشابهاً في الاقطار المختلفة الواقعة على درجات مختلفة من تطورها الاجتماعي والسياسي .

إن موقف غالبية الاحزاب والمنظمات العمالية ، والمراكز النقابية في اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية من قضايا الدفاع عن السلام ونزع السلاح والنضال ضد الاستعمار يدل على أن الطبقة العاملة لتلك الاقطار تشترك بنشاط متزايد في الحركة الشعبية المعادية للامبريالية .

وفي كل مكان تنهض الطبقة العاملة فيه وتتطور ، وفي كل مكان تتعزز فيه وتتنظم يرتفع نشاط ووعي

* مجلة «نوفي فريمه» («الازمنة الجديدة») موسكو ، عدد ١٨ ، ١٩٦٤ ، صفحة ٧ .

الشعب كله ، يزداد الخطر على مواقع الامبريالية ، والمتعاونين معها ، وتتضاعف قوى التقدم والتحرر .

إن المساهمة النشيطة للجماهير الشعبية في الحياة السياسية واشاعة الديموقراطية في النظام السياسي هما شرط لا غنى عنه للتقدم الاجتماعي والاقتصادي في الاقطار الضعيفة التطور . وتتكشف آفاق عريضة لشعوب الاقطار النامية لهذا السبب في سبل خلق وتطور دول الديموقراطية الوطنية . فما هي دولة الديموقراطية الوطنية ؟

إن دولة الديموقراطية الوطنية من الناحية السياسية هي اتحاد جميع القوى التقدمية والوطنية التي تناضل من اجل الاستقلال الوطني التام . والاتحاد بين هذه القوى يعمل على ايصال الثورة الديموقراطية المعادية للامبريالية ، والمعادية للاقطاعية الى نهايتها .

ومن الناحية الاقتصادية تؤمن دولة الديموقراطية الوطنية خلق صناعة وطنية ، وتحمي اقتصاد البلاد من تسرب الرأسمال الاجنبي الاحتكاري اليه .

وتؤمن دولة الديموقراطية الوطنية التصنيع والقيام بالثورة الزراعية . وبكلمات اخرى انها تزيل العقبات من طريق تطور القوى المنتجة ، وتخلق امكانية واقعية لحل قضية الغذاء .

وفي الظروف الراهنة حيث نضج نظام الرأسمالية كله للتغيرات الثورية ، وتتقدم الشعوب بهمة على طريق التطور غير الرأسمالي يمكن لدولة الديموقراطية الوطنية ان تنهض بقيادة أية طبقة ذات اتجاه وطني وديموقراطي – الطبقة العاملة او الفلاحين . وفي الاقطار التي لا توجد فيها طبقة عاملة او في حالة التولد يمكن ان يلعب الفلاحون الذين يعكس المثقفون الديموقراطيون مصالحهم دوراً ثورياً مستقلاً ، ويمكن ان تكون السلطة بايدي ممثلي هؤلاء المثقفين .

وتوحد الديموقراطية الوطنية جميـــع القوى الوطنية للأمة ، وتوجه جهودهم لحل اهم المهمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وهي تؤمن اشتراك الجماهير الشعبية المتنامي ابداً في القضاء على التركة الثقيلة للحكم الاستعماري ، وفي التغلب على التخلف الطويل الأمد ، وفي بناء المجتمع الجديد .

ان شعوب الدول الوطنية الفتية في صداقتها وتعاونها مع الاقطار الاشتراكية ، ومع جميع القوى المحبة للسلام والمعادية للامبريالية تساهم بنشاط متعاظم في تحرير العالم وتجديده .

الفصل الرابع

الحركة الثورية العالمية للطبقة العاملة

كفاح الطبقة العاملة الاقتصادي والسياسي

خلق ماركس وانجلس نظرية الرسالة التاريخية العالمية للطبقة العاملة كحافرة قبر الرأسمالية ، وخالقة مجتمع جديد . وقد أظهرا ان البروليتاريا الصناعية هي القوة الاجتماعية القيادية القادرة وحدها على أن ترأس وتحقق التغيير الثوري للمجتمع . وتطور الرأسمالية نفسه يهيئ التمهيدات المادية للانتقال الى الاشتراكية ، ويكون طبقة البروليتاريين القادرة بحكم وضعها في نظام الانتاج الاجتماعي على أن تجمع كل الشغيلة ، وتقود نضالهم من أجل التطويح بالنظام الاستغلالي وخلق مجتمع جديد .

وقد حررت الطبقة العاملة في الاقطار الاشتراكية نفسها وكل المجتمع من النير الرأسمالي والاستغلال ، وانشأت مجتمعاً جديداً ، وأعادت من الأساس بناء جميع جوانب الحياة الاجتماعية خالقة احسن

الظروف تلاؤماً لتطور الشعب كله وكل إنســـان . وهي بذلك طبقت نظرية الاشتراكية العلمية في الحياة .

وفي هذا الفصل سيجري الكلام عن فصيلة مهمة أخرى من الجيش العالمي للعمل – عن الطبقة العاملة في الاقطار الرأسمالية المتطورة . في هذه الاقطار يوجد أكثر من ١٨٠ مليون عامل ومستخدم وهذا ما لا يقل عن ثلاثة أخماس العدد الكلي للعمال والمستخدمين في كل العالم غير الاشتراكي .

ويزعم المدافعون عن الرأسمالية مؤكدين أن في المجتمع البرجوازي الراهن يحل «سلم طبقي» و «انسجام عام» . إلا أن حقائق الواقع الراهن تنطق بأن التناقضات الطبقية في داخل المجتمع البرجوازي ، وبين البرجوازية الاحتكارية وجماهير الشغيلة قد ازدادت حدة . في احشاء الرأسمالية تتكون وتتضاعف وتتعزز القوى المدعوة لتأمين انتصار الاشتراكية .

نعم ، وكيف يكون غير ذلك إذا كان استغلال العمـــال في عهد الامبرياليـــة يتخذ أكثر الاشكال فظاظة ، بينما يتناقص نصيبهم من الثروات الوطنية التي يصنعها عملهم ؟ في الولايات المتحدة الامريكية ، مثلاً ، لا تؤلف الطبقات الرأسمالية غير زهاء ١/١٠

من سكان البلاد ، ولكنها تحصل على أكثر من نصف الدخل القومي ، وهذه هي الحال مع كل قطر رأسمالي .

في مجموعة صغيرة من الاقطار الرأسمالية المتطورة يوجد مستوى عال للحياة نسبياً ، ولكنه قائم على سلب شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وعلى التبادل التجاري غير العادل ، وعلى بخس عمل النساء ، والاضطهاد الفظ للزنوج والعمال المهاجرين ، وكذلك على ارتفاع درجة استغلال الشغيلة في تلك البلدان نفسها .

يجري الحديث عن الولايات المتحدة الامريكية كأغنى قطر رأسمالي يتركز فيه ما ينقص بقليل عن نصف الاحتياطي العالمي من الذهب ، وثلثا عدد السيارات في العالم ، والجزء الاكبر من التلفزيونات والثلاجات ، والتلفونات الموجودة في العالم . وفي نفس الوقت يوجد في الولايات المتحدة ، حسب الاحصائيات التي قامت بها نقابة عمال السكك الحديدية الامريكية في عام ١٩٦٠ ، ما لا يقل عن ٣٠ مليون أو ما يقرب من سدس السكان في حالة قصوى من الفقر . ويتحدث الامريكيون ذوو الميول الديموقراطية عن وجود «امريكا أخرى» و «بلاد ضعيفة التطور» ، بطريقتها الخاصة ، تعيش في فقر وظلام ، وأمراض

وحرمان من الحقوق . إنها الزنوج وكذلك ممثلو بعض الاقليات القومية ، والعمال الصناعيون غير الماهرين والعمال الزراعيون المتنقلون في ارجاء البلاد ، والناس الذين وقعوا ضحية البطالة المزمنة والشيوخ .

وتستخدم خرافة «تفوق» الجنس الابيض في الولايات المتحدة لاقامة اسس نظام اضطهاد اقتصادي وسياسي للزنوج . فماذا يحصل الرأسمال الامريكي من تمييز الزنوج ؟ لقد حصلت الاحتكارات الامريكية في الاربعينيات ، حسب تقدير مقارب غير كامل ، على أربعة مليارات سنوياً من الاستغلال الزائد للشعب الزنجي . وهذا ما يحدث في ايامنا هذه ايضاً . إن مضطهدي الشعب الزنجي في الولايات المتحدة لا يريدون أن يتخلوا عن امتيازاتهم . ويرد العنصريون بالارهاب المستمر عن المطالب العادلة في المساواة المدنية والاجتماعية . وتظل جرائم قتل المناضلين من اجل التساوي في الحقوق بلا عقاب . ويقوم البوليس باعتقالات جماهيرية بين الامريكيين السود والبيض المحتجين على التمييز العنصري . ويستخدم البوليس قنابل الغاز المسيل للدموع ضد مظاهرات الزنوج ، ويضربهم بالهراوات ، ويوجه عليهم الكلاب المدربة خصيصاً لاقتناص الانسان ، ويطلق الآلات

المائية التي تستخدم عادة في استخراج الفحم الحجري في المناجم ، والتيار الماء المتدفق منها بفعل الضغط الشديد يكسر الضلوع ، ويمزق الجلد .

والعمال المهاجرون يتعرضون الى قمع وتمييز من نوع خاص في عدد من أقطار اوروبا الغربية . ينتقل ملايين الناس من الاقطار التي فيها بطالة عظيمة وفلاحون يعانون من نقص الأرض (ايطاليا ، اسبانيا ، اليونان ، تركيا ، البرتغال ، افريقيا الشمالية) بحثاً وراء العمل وقطعة الخبز الى الاقطار التي يتطور فيها الانتاج في الوقت الحاضر بشكل أسرع ، والتي فيها طلب على اليد العاملة (الى المانيا الغربية ، وسويسرا ، وفرنسا) . وفي فرنسا يوجد ما لا يقل عن مليون من مثل هؤلاء العمال المهاجرين ، وفي المانيا الغربية يقرب عددهم من مليون . وفي سويسرا الصغيرة يؤلف المهاجرون أكثر من ربع جميع العاملين في هذه البلاد – زهاء ٨٠٠ الف . ويرسل هؤلاء الناس الى اشق الأعمال واخطرها وأقلها اجوراً – في الورش الحارة لمصانع التعدين ، وفي الورش الكيمياوية المملوءة بالابخرة السامة ، وتحت الارض في مناجم الفحم الحجري والمعادن ، وفي بناء البيوت والمصانع والورش والجسور والانفاق

والقنوات ، الخ . . ويعيش المهاجرون في أماكن مكتظة وفي الوحل ، ويستغل أصحاب العمل بلا وازع من ضمير عدم تنظيمهم ، ووضعهم المجرد من الحقوق وهم في بلاد غريبة .

إن الأجر غير المتساوي على عمل متساو للرجال والنساء هو ظاهرة منتشرة انتشاراً واسعاً في الاقطار الرأسمالية . وفي المانيا الغربية تقل أجور النساء بالمعدل بمقدار ٣٧ بالمائة عن أجور الرجال . وهذا الفرق في فرنسا يتألف في مختلف المهن من ١٠ الى ٤٠ بالمائة . وفي هولنده تصور الحكومة موافقتها على رفع أجور النساء الى مستوى يساوي ٨٥ بالمائة من أجور الرجال ك «تقدم كبير» . ومثل هذا الوضع يوجد في انجلترا والولايات المتحدة واليابان .

تتجنب الحكومات البرجوازية الاهتمام بالظروف المادية للشعب ، وفي وقاية الصحة العامة ، والضمان الاجتماعي . وتبدي رأسمالية «اغنى بلد» – الولايات المتحدة – أعند مقاومة لمطالب الشغيلة باقامة نظام للتامين ضد المرض ، وبالتطوير الواسع للخدمة الطبية ، وتقديم الاعانات للعوائل الكثيرة الاطفال . ولا ترغب الدولة الرأسمالية ان تأخذ على عاتقها

مسؤولية وضع الشغيلة المسنين . فان البرجوازية لم يعد لها مصلحة بالشيوخ لأنهم لا ينفعون للاستغلال ، ولا للخدمة العسكرية .

لقد تحدثنا حتى الآن عن التمييز في الموقف من فئات معينة من الشغيلة ، ـ الاقليات القومية والمهاجرين والنساء والمحتاجين للعلاج ، والشيوخ . إلا أن جور المستغلين ، والتفاوت الاجتماعي للرأسمالية يخيمان على البروليتاريا كلها .

إن الاحتكاريين في سعيهم للارباح يزيدون وتيرات العمل ، ويشددون على توتيره غير ملتفتين الى صحة العمال . فان رفع وتيرات العمل دون توفر السلامة فيه يؤدي الى زيادة عدد الحوادث المؤسفة ، والامراض المهنية ، والى التلف الجسمي للشغيلة قبل الاوان . ففي المانيا الغربية ازداد عدد الحوادث المؤسفة المسجلة والحاصلة عند الانتاج ما بين ١٩٥١ الى ١٩٦١ من ١,٤ مليون الى ثلاثة ملايين ، ويعني هذا أن كل واحد من سبعة من الشغيلة في هذه البلاد وقع له خلال العـــام حادث مؤسف . وتعذّب في التعدين وصناعة معالجة المعادن من الحوادث المؤسفة كل رابع أربعة ، وفي بناء السفن كل ثالث ثلاثة .

وليست المانيا الغربية استثنـــاء بين الاقطار الرأسمالية . ففي الصناعة الفرنسية يحدث كل عام في المعدل زهـــاء مليون حادث مؤسف ، وفي الصناعة الايطالية أكثر من مليون . ويحدث الشيء ذاته في الولايات المتحدة وانجلترا واليابان والدول الرأسمالية المتطورة الاخرى .

ويؤدي تشديد الاستغلال الى الانهـــاك الجسمي والنفسي للشغيلة ، والى شيخوختهم المبكرة ، وفقدان القدرة على العمل . في المانيا الغربية يضطر ٦٠ بالمائة من العمال الكهول الى ترك العمل من جراء فقدان القدرة على العمل قبل بلوغ الستين .

وفي كثير من الاقطار تحولت البطالة الى مصيبة وطنية حقيقية . في الولايات المتحدة ، مثلاً ، نادراً ما كان عدد العاطلين كلياً في السنوات الخمس الاخيرة يهبط الى اقل من ثلاثة ملايين شخص ، وفي اغلب الاحيان يبلغ ٤-٦ ملايين . ويخيم فوق كل عامل امريكي دائماً التهديد بفقدان محل عمله ، ويعني ذلك مستقبلاً غير مضمون ، وحيـاة نصف جائعة ويجرده ذلك وعائلته من الثقة بالمستقبل . وينمو هذا التهديد مع التقدم التكنيكي في ظروف الرأسمالية . فمثلاً إن الاتمتة الرأسمالية للانتاج التي كان من

اللازم ، كما يبدو ، ان تخفف شروط العمل ، وأن تكون بشكل عام نعمة حسنة للمجتمع ، تحمل معها ، بدلاً من ذلك ، حرمانات جديدة للطبقة العاملة : فهي تجعل مئات الالوف من الناس «زائدين» وتلقيهم في الشارع حاكمة عليهم بالبطالة .

ان البرجوازية ترتعب من الثورة ومن نجاحات الاقطار الاشتراكية ، وتطور الحركة العمالية . وحين يهب العمال بحزم للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية ينتزعون من طبقـة الرأسماليين تنازلات بخصوص الاجور ، وظروف العمل ، الضمان الاجتماعي . إلا ان في الاقطار الرأسمالية ترتفع الاسعار ، ويحدث تضخم في النقد ، وهذا في الغالب ينقص الى الصفر مكاسب العمال السابقة . ولا تفي الاجور بالمتطلبات المادية والثقافية للعامل وعائلته ، تلك المتطلبات المتنامية مع تطور المجتمع .

ولهذا تخوض الطبقة العاملة وجميع الشغيلة في الاقطار الرأسمالية رغم القمع والارهاب المتناميين نضالاً من اجل مكاسبها الديموقراطية ، وضد تشديد الاستغلال ، وتردي ظروف العمل ، وتخفيض المستوى الحياتي . ويقاومون ضغط الرجعيـــة ، وسياســـة العسكرية ، والتحضير لحرب نووية حرارية .

ويرد العمال على هجوم الرأسمال الاحتكاري بالاضرابات . وقد اتخذت في الاقطار الراسمالية الآن نطاقاً أوسع مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية . خلال السنوات العشر قبل الحرب (١٩٣٠ـ ١٩٣٩) أضرب ٢١ مليون إنسان في ١١ قطراً من أكبر الاقطار الرأسمالية . بينما أضرب في عام ١٩٥٨ وحده ٢٧ مليون انسان ، وفي عام ١٩٦٢ أكثر من ٦٠ مليون .

وتلاقي الطبقة العاملة في نضالها في اقطار الرأسمالية المتطورة صعوبات هائلة . فإنها تواجه برجوازية مجربة تعلمت خلال عشرات السنين وحتى خلال قرون كاملة «فن» قمع الشغيلة ، وتقدر على أن تحدث الانشقاق ، والنضال فيما بينهم ، وتملك اموالاً هائلة ، وجهازاً حربياً وبوليسياً ، ووسائل للتاثير الايديولوجي الواسع على ملايين الشغيلة . ان هذه البرجوازية استخلصت دروساً من هزيمة اخواتها في الاقطار الاشتراكية الحالية ، بل وتعلمت على نحو أحسن المناورة ، واستخدام الرشوة بخصوص بعض انواع الشغيلة ، ولكنها في نفس الوقت تستخدم القوة دون تردد حين ترى ذلك ضرورياً للحفاظ على سيطرتها .

إلا أن في الحركة العمالية العالمية ايضاً تجمعت

تجربةهائلة للنضال ضد الامبريالية واعوانها في صفوف الطبقة العاملة . وقد اصبحت هذه الحركة اكثر نضوجاً من الناحية الايديولوجية ، وممتلكة قدرة تنظيمية كبيرة ، وروحاً هجومية نضالية . ويزداد نفوذ الاحزاب الشيوعية والعمالية بين الشغيلة . وينمو دور النقابات . وتصد الطبقة العاملة بحزم تحت قيادة منظماتهـا العنف من جانب الدولة البرجوازية ، وتبدي شجاعة ، وصموداً ، وضبطاً متعاظماً ، ووحدة العمل في النضال .

ولا يندر في الوقت الحاضر ايضاً ان تقوم البرجوازية بسفك الدماء محاولة تحطيم مقاومة الطبقة العاملة المتزايدة . وليس نادراً ايضاً ذلك النوع من الحوادث التي حدثت ، مثلاً ، في صيف ١٩٦٠ في ايطاليا حين وقف العمال ضد حكومة تامبروني الرجعية . حين ذاك لاحت ايطاليا صورة للدم في شوارع مدن كثيرة ، والزجاج المحطم والغاز المسيل للدموع ، والسيارات المقلوبة والمحترقة . وقد قتل البوليس ١٣ عاملاً فردته الجماهير رداً غاضباً ، وامطروا الجلادين بوابل من الحجارة . وفي آخر الأمر اجبر الكادحون الايطاليون حكومـــة تامبروني على الاستقالة ، واضطروا طبقة الرأسماليين الى التنازل ، والى استخدام أشكال اكثر مرونة في الحكم . وخلال الاضراب العام في بلجيكا

في شتاء ١٩٦٠-١٩٦١ قتل خمسة عمال ، وجرح اكثر من ٢٠٠ متظاهر ، وزهـاء ١٠٠ من رجال الجندرمة و ٧٥ من رجال البوليس . وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٠ اطلق البوليس في اليونان الرصاص على المشتركين في اضراب البناة فجرح اكثر من ١٠٠ عامل ، وادى ذلك الى معارك المتاريس .

وبهذه الصورة يجلب العنف من جانب البرجوازية أقل فأقل من النجـاح ، ويصبح بشكل عـام أقل امكاناً فأقل . وتتطور الحركة العمالية اليوم في وضع اكثر ملائمة من ذي قبل . وبنتيجة نجاحات الاتحاد السوفييتي والاقطار الاشتراكية الاخرى وتعميق الازمة العامة للرأسمالية العالمية ، ونمو نفوذ القوى الثورية في الجماهير نشـأت امكانيات طيبة لتوسيع النضال الطبقي لصالح الشغيلة .

وفي وقتنا الحاضر تتحول المعارك الاقتصاديـة للبروليتاريا الى حركات سياسية بسرعة ، وعلى العموم ، وكقاعدة يؤدي النضـال من اجل مطالب اقتصادية بحتة بالطبقـة العاملة الى ادراك ضرورة النضـال السياسي . فان دولة البرجوازية في كثير من الاقطار ملاك كبير يخدم مصالح الاحتكارات الخاصة ، وهي نفسها تستغل مباشرة جزءاً كبيراً من الطبقة العاملة

يشتغل في المشاريع الحكومية . ويصطدم الشغيلة مع دولة البرجوازية في مجال الضمان الاجتماعي ، وجباية الضرائب ، ونشاط النقابات ، الخ .. وهم يرون أن الدولة دائماً وفي كل مكان تقف مدافعة عن مصالح الاحتكارات . وتجري اثناء الاضرابات والمظاهرات والاجتماعات مصادمات مع البوليس ، والا فمع عساكر دولة البرجوازية . ويؤدي تطور رأسمالية الدولة الاحتكارية الى ان تظهر التناقضات الطبقية الآن كتناقضات بين الشغيلة وبين القوة المتحدة للاحتكارات والدولة . وبالنتيجة يصبح نطاق النضال الطبقي أكثر قوة والدائرة التي يدور فيها النضال أوسع .

وبالنظر لذلك تصبح حركة الاضرابات أكثر سعة وتنظيماً . من قبل كانت شعارات : ثماني ساعات عمل في اليوم ، والاعتراف بالحقوق الاولية والأكثر بساطة للنقابات ، وتطبيق الضمان الاجتماعي ، واعطاء الحق الانتخابي لجميع المواطنين الى آخر ذلك هي الشعارات السائدة بين المطالب التي يطرحها المضربون . اما اليوم فان الطبقة العاملة تناضل من اجل تحقيق مطالب أكبر بكثير ، وأمض بكثير في الرأسمالية : إنها تصر على سلام وطيد ، وتناهض الركض وراء التسلح ، وتؤيد الحل السلمي للقضايا المتنازع عليها بين الدول ،

وتحرص على تدعيم وتطوير الديموقراطية ، وتوسيع الحقوق السياسية للشعب كله ؛ ويحتل النضال من اجل تأميم أهم فروع الاقتصاد ، واشاعة الديموقراطية في ادارتها مكاناً مهماً في حركات الطبقة العاملة ؛ ويكسب العمال بالنضال مواقع جديدة وجديدة في حقل الضمان الإجتماعي .

وتنتقل الجماهير على نحو مطرد في تكراره الى الهجوم مطالبة بتضييق سلطة الاحتكارات وبنزع السلاح ، وازالة القواعد الحربية والتكتلات العسكرية ، وبتوسيع وتجديد الديموقراطية . وقد جرى الكلام سابقاً عن الاضراب البطولي لشغيلة ايطاليا في صيف ١٩٦٠ ، ذلك الاضراب الذي أدى الى اسقاط حكومة تامبروني الرجعية المتحالفة مع الفاشيين . ويقوم الشغيلة في اليابان وانجلترا وغيرهما من الاقطار - « بمسيرات السلام » مطالبين تصفية القواعد الصاروخية والنووية . وفي الولايات المتحدة الامريكية يتخذ النضال من اجل حقوق الزنوج طابعاً ثورياً كفاحياً متعاظماً . وتجري في فرنسا حركات سياسية جماهيرية . ومن أسطع امثلة هذه الحركات اضراب ٨ فبراير (شباط) ١٩٦٢ حين تظاهر الباريسيون ضد الخطر الفاشي بالنظر للتهديد بالانقلاب من جانب عصابة

الجيش السري . وقد استخدم البوليس السلاح ضد المتظاهرين فقتل ٨ اشخاص ، وجرح ٢٥٠ شخصاً . وبعد بضعة ايام نظم مليون باريسي مواكب تشييع وطنية لضحايا الارهاب البوليسي . واثناء التشييع لم يجازف البوليس بالظهور في الشوارع – فقد تراجع امام هذه الحركة الجبارة . ان حوادث فبراير في باريس مع الاضرابات الجماهيرية الاخرى السابقة لها دفعت الحكومة الفرنسية الى ان تقرر وضع نهاية للحرب الاجرامية في الجزائر بأقرب وقت ممكن . ان هذه الاحداث في فرنسا تظهر بشكل واضح جداً ارتباط مصالح واهداف حركة التحرر الوطني والحركة العمالية في الاقطار الرأسمالية .

ان البرجوازية تقوم بالاضطهاد الاستعماري الامبريالي بغية الحصول على الارباح والارباح الزائدة . وشعوب الاقطار الضعيفة التطور هي ضحايا للرأسمالية العالمية . وفي نفس الوقت يُتخذ الجور الاستعماري كوسيلة لتعزيز النظام الرأسمالي في الدول الرأسمالية نفسها ، وكوسيلة لتعزيز الانظمة الاجتماعية التي يقوم أساسها على استغلال الطبقة العاملة . ويدفع شغيلة المتروبولات ثمن السياسة الامبريالية ، والسيطرة الاستعمارية بارواحهم ، ويتحملون نفقات الحملات

الاستعمارية والحروب بين الدول الامبريالية ، وعبء الركض وراء التسلح . وهم يعانون من ان النظام العالمي للاضطهاد يقوي الانظمة الرأسمالية في بلدان المتروبول ، ويسند سيطرة الاستغلال والرجعية ، وسلطة الاحتكارات على الأمة . ومن هنا تأتي وحدة مصالح نضال الشعوب المضطهدة المعادي للامبريالية ، ومصالح الطبقة العاملة في اقطار الرأسمالية المتطورة . فلنأخذ فرنسا مثالاً . ان العمال المتقدمين في هذا البلاد برئاسة الشيوعيين وقفوا بحزم دائماً في الدفاع عن الشعوب المكافحة في المستعمرات الافريقية ، والهند الصينية ، وسوريا ، ولبنان ، ومارتينيك ، وغفادلوب ، وجزائر اوقيانيا الفرنسية . واثناء السيطرة الاستعمارية طالب البروليتاريون الفرنسيون برفع أجور عمال المستعمرات ، والتطبيق التام لقانون الضمان الاجتماعي الفرنسي في المستعمرات ، واعطاء الحقوق السياسية لسكان المستعمرات الاصليين ، ومساعدة الفلاحين بالاغذية ، واعادة توزيع الاراضي لصالح اهالي البلاد . وكان الشعار الأساسي للحزب الشيوعي الفرنسي حق شعوب المستعمرات في تقرير المصير ، وفي الاستقلال . وفي ايامنا هذه يقف الشيوعيون الفرنسيون بحزم ضد جميع اشكال الحكم الاستعماري ، القديمة والجديدة .

تيار موحد مناهض للاحتكارات

ان العدو الرئيسي للطبقة العاملة هو الاحتكارات الرأسمالية ، ولهذا فان الطبقة العاملة توجه ضربتها الاساسية ضدها . وقد رأينا ان الرأسمال الاحتكاري أمسك في يديه الاقتصاد وسلطة الدولة ، وهو يحكم على الطبقة العاملة بالبطالة والفقر ، ويشدد الاستغلال ، ويجرد العمال من الحقوق الديموقراطية .

إلا ان جور الاحتكارات الكبيرة يصبح أكثر وطأة ليس على الطبقة العاملة وحدها ، بل وعلى جميع طبقات الأمة . فالى جانب التناقض الاساسي للمجتمع البرجوازي – التناقض بين العمال والرأسماليين – يشتد في ايامنا هذه أكثر فأكثر التناقض بين الاحتكارات والشعب بأسره . ومثلما للطبقة العاملة مصلحة حياتية في القضاء على سيطرة الاحتكارات توجد ايضاً مثل هذه المصلحة للفلاحين والمشتغلين في العمل العقلي ، وبرجوازية المدن الصغيرة والمتوسطة . وهذا يتيح توحيد جميع الحركات الديموقراطية المناهضة لجور الاحتكارات الرأسمالية في تيار جبار واحد مناهض للاحتكارات .

ان الاحتكاريين يستغلون دون رحمة ليس العمال فقط ، بل والجزء الاساسي من الفلاحين والحرفيين ، والتجار الصغار ، والمراتب الواطئة والمتوسطة من المستخدمين . من قبل كان المروجون للنظام الرأسمالي ينشرون اسطورة عن متانة الاستثمـــارة الفلاحية الصغيرة . الا ان الاحتكارات الآن احتلت مواقع السيطرة في الزراعة ايضـــاً . وهي تطرد من الأرض ملايين المزارعين .

في الولايات المتحدة تخرب خلال الخمسينيات مليون ونصف مليون استثمارة فلاحية وانهت وجودها ، واستولى على اراضيهـــا الملاكون الكبار . في بداية الستينيات كانت في هذه البلاد ٣,٩ ملايين مزرعة من بينها ٢,٥ مليون استثمارة صغيرة غير استغلالية ستصـــاب بالخراب ، حسب اعتراف الاقتصاديين البرجوازيين ، في المستقبل القريب . وفي فرنسا انخفض عدد الاستثمارات الصغيرة ما بين ١٩٢٩ و ١٩٥٦ بمقدار ٨٠٠ الف ، وبعد عام ١٩٥٦ اصبحت الحكومة البرجوازية تساعد الملاكين الكبار على المكشوف في سحق الفلاحين الصغار في صراع المزاحمة . وقانون «التوجيه الزراعي» الذي اتخذته الحكومة الفرنسية في عام ١٩٦٠ يستهدف تعجيل وتسهيل عملية ابتلاع

الاستثمارات الكبيرة للاستثمارات الصغيرة ؛ ومهمته الاساسية ان يطرد ، خلال بضع سنوات ، ٨٠٠ الف استثمارة فلاحية صغيرة اخرى . وفي اليابان في عام ١٩٦١ أتخذ «القانون الزراعي الأساسي» مماثل موجه الى ان يطرد من الزراعة خلال عشرة اعوام ثلاثة ملايين ونصف مليون عائلة فلاحيـــة فقيرة ومتوسطة . ومثل هذه العمليات تجري ايضاً في جميع العالم الرأسمالي – من كندا الى استراليا ، ومن السويد الى ايطاليا .

والاستثمـــارات الصغيرة الباقيـة تعيش بثمن حرمانات لا تصدق ، ونقص في الاستهلاك ، وعمل الفلاحين المفرط . وقد وصف مزارع امريكي حطمته الاحتكارات مصيبته على النحو التالي (نشرت رسالته في كتاب «الرأسمالية وثقافتها» للاقتصادي الامريكي ج . دافيس) :

خلال اربع سنوات «زرعت في المزرعـــة التي استأجرتها ، ومساحتها حوالي ١٨٠ أكراً ، ١٥٢٠ طناً من بنجر السكر ، وبعته . انها ٤٥٦ الف رطل من السكر ، أي ما يكفي لاربعة آلاف شخص لمدة عام كامل . إلا ان عائلتي مضت عليها ثلاثة ايام وهي بلا سكر ، وليس بميسوري ان اشتريه . وربيت

وبعت ٤٣٠ رأس من الماشية السمينة ، أي ١٣٥ الف رطل من اللحم . وهذه الكمية يمكن ان تطعم ٢٠٧٦ شخصاً لمدة عام . اما في بيتي فلا توجد قطعة لحم ، وليس في ميسوري شراءه .

كل ذلك جرى دون ذنب مني مطلقاً ، بل بذنب النظام الاقتصادي الذي يمتص من الشعب الدم ، ويقدم أحسن الخيرات للشركات العملاقة . انها اقامت الآلات الكبيرة ، وسرقت مني ومـن ملايين الناس الاخرين امكانية العمل وشراء الخبز لصغارنا» *.

ان هجوم الرأسمال الكبير قد أجبر الفلاحين ايضاً على التنظيم والنهوض للنضال حتى لا يهلكوا . ويستخدم الفلاحون في حركاتهم ضد جور الاحتكارات والدولة البرجوازية الوسائل البروليتارية في الكفاح ، وخبرة الفصائل المتقدمة للطبقة العاملة استخداماً واسعاً .

في اعوام ١٩٦١–١٩٦٤ ظهرت في فرنسا أكثر من مرة حركات فلاحية قوية ساهم فيها مئات آلاف من الناس . وقد وجد كادحو الريف اشكالاً فعالـة للاحتجاج استطاعوا بواسطتها ان يجذبوا اليهم انتباه المجتمع بأسره . وقد حاصر الفلاحون عدداً من المدن

* ج . دافيس . «الرأسمالية وثقافتها» ، موسكو ، ١٩٤٩ ، صفحة ٤٦٣–٤٦٤ .

في شتى مناطق فرنسا : سدت جميع المداخل والمخارج بالعربات والتراكتورات ، وقطع الاتصال التلفوني ، وتعرضت مكاتب الحكومة للهجوم . وعبرت المنظمات العمالية عن تضامنها مع الفلاحين ، وأبدوا لهم الاسناد .

ولا يندر ان يضرب في ايطاليا في السنوات الاخيرة ملايين العمـــال الزراعيين والمستأجرين من الفلاحين الذين يعملـــون في أرض عائدة لمالك أرض كبير ، ويعطون له نصف الحاصل أو حتى أكثر من نصف لقاء ذلك . كما تجري في المانيا الغربية وبلجيكا واليونان والاقطار الاخرى حركات جماهيرية للفلاحين والعمال الزراعيين الذين يستخدمـــون على غـرار الفرنسيين اشكالاً للنضال مثل الاضرابات ومحاصرة المدن ، ووضع العراقيل في الطرق ، والاجتماعـات في المدن يشترك فيها عشرات الالوف من الناس . وتعمل المنظمات العمالية والفلاحية بحزم متزايد جنباً الى جنب وتهب بعضها لمساعدة بعض .

كما تحطم الاحتكارات ملاكي المدن الصغار ، وتدمر الانتاجات الحرفية ، وتجعل المشاريع الصناعيـــة والتجارية الصغيرة تابعة لها .

كما أن جور الاحتكارات والسياسة المعادية للشعب التي تسير عليهـــا الحكومات البرجوازية يدفعـــان

المستخدمين الصغار والمتوسطين ، والمعلمين ، والعاملين في المعاهد العليا ، والاطباء ، ورجال العلم والادب والفن الى النضال الفعال .

ان النظام الرأسمالي ينهب الجماهير الشعبية ليس فقط اقتصادياً ، بل وفي مجـال التعليم والمعرفة ويشدد الفقر ألمادي وتبعية الجماهير بالفقر والتبعية الروحية . كما تعني السيطرة الاقتصادية للاحتكارات التفاوت الاجتماعي للشغيلة ، وتأخرهم الثقـافي ، وحرمانهم من الحقوق السياسية .

وتبدي البرلمانات البرجوازية كرماً غير اعتيادي ازاء الابواب العسكرية من الميزانية ، وهي كريمة ازاء الاحتكارات ، مقدمة لهـــا الاعانات المالية والامتيازات . وفي نفس الوقت تبدي البرلمانات بخلاً غير اعتيادي ازاء المدرسة ووقاية الصحة العامة ، والعاملين المتواضعين في التعليم الشعبي والطب . فان المصروفات الحكومية على الاحتياجات الثقافية في فرنسا ، مثلاً ، أقل بمـا يزيد عن ٨٠ مرة من المصروفات على الاغراض الحربية . ويفترض ان واحداً بالمائة من الاموال التي تنفق في جميع انحاء العالم على الاغراض العسكرية سنوياً يكفي لبنـاء ١٠٠ جامعة مجهزة باحدث الاجهزة ! وفي نفس الوقت

يوجد حتى في الولايات المتحدة اكثر من ٨ ملايين شخص أمي . وبهذه الظروف تتخذ حركات المعلمين والاطباء ، والمشتغلين في التعليم العالي في مطالبها برفع الاجور ، وزيادة ميزانيات المدارس والمستشفيات والجامعات طابعاً سياسياً وتعزز ارتباطها بالنضال من اجل السلام والديموقراطية . ولا تندر الآن في أي بلاد رأسمالية ظاهرة اضرابات هذه الاصناف من الشغيلة — أي استعمال المستخدمين والمثقفين الشكل البروليتاري للنضال .

وتخوض الطبقة العاملة نضالاً ليس فقط من اجل مطالبها الاقتصادية المباشرة وحقوقها في المشاريع ولا يقتصر نشاطها الكفاحي على انتفاضات في المصانع والمعامل فقط . انها تتصرف كمحاربة متقدمة ، كطليعة للشعب كله ، وتصبح على رأس جميع القوى الديموقراطية ، وتجندها للاعمال الفعالة . وهي تعلم الاعمال الثورية لجميع الشغيلة ، والمستغَلّين ، وتعلمهم «لا بالكلمات بل بالاعمال ، بالامثلة ... للعمل الثوري **الجماهيري** الجامع للمطالب السياسية والاقتصادية» *.

---

* لينين . مؤلفات ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد ١٩ ، ص ١٩٦ .

وتقدم البروليتاريا برنامجاً للنضال ضد السلطة المطلقة للاحتكارات مع الأخذ بعين الاعتبار مصالح الشغيلة لا الراهنة منهـا فقط بل ومصالحهـا في المستقبل . وهي تؤيد التأميم الواسع للصناعـة المحتكرة ، باكثر الشروط منفعة للشعب . وهي تساند مطالب الفلاحين بالقيـام باصلاحـات زراعية جذرية ، والتوصل الى تحقيق شعـار «الأرض لمن يزرعها!»

وتناضل الطبقة العاملة بحزم سوية مع طبقات الشعب الاخرى من اجل الديموقراطية الواسعة . وهي ترفع الجماهير الى النضال ضد محاولات الاحتكاريين الغاء الحريات الديموقراطية ، وضد انبعاث أي نوع من انواع الفاشية .

وتكتسب طبقات السكان الواسعة في مساهمتهـا في النضال من اجل التحولات الديموقراطية مستوى أعلى في التنظيم والوعي ، وتصل الى ادراك أوضح للطابع التناحري للعلاقات في المجتمع البرجوازي . وهي تقترب من الطبقة العاملة ، وتتيقن من ضرورة الاعمال الموحدة معها .

النضال من اجل الديموقراطية جزء مكون للنضال من اجل الاشتراكية

ان الماركسيين-اللينينيين في الاقطار الرأسمالية لا يشيرون فقط الى تناقضات المجتمع الاستغلالي للرأسمالية ، ووجود الاستغلال ولا يفضحون فقط عيوب الرأسمالية ، ولا يدعون فقط الى ضرورة استبدال النظام البرجوازي بالنظام الاشتراكي . انهم يناضلون من اجل القيام بكل شيء في الظروف الراهنة للدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ، والجماهير الشعبية ، ولتحسين مستوى حياتهم ، وتوسيع الحقوق الديموقراطية ، وحريات الشعب دون ان يؤجلوا ذلك الى انتصار الاشتراكية . ويرى الماركسيون-اللينينيون في امكان الامة في الظرف الراهن ، وحتى في عهد الرأسمالية ان تتخلص من هيمنة الاحتكارات غير المحدودة ، ومن دكتاتوريتها الاقتصادية والسياسية . ويمكن ان يحد جبروت الاحتكارات ، ويمكن ان يزداد الوزن السياسي للطبقة العاملة وجميع القوى التقدمية للأمة في حياة البلاد . وفي كثير من الاقطار يمكن للطبقة العاملة حتى قبل التطويح بالرأسمالية ان تجبر

البرجوازية على تحقيق مطالب تتعدى حدود الاصلاحات الاعتيادية ، ولهـــا أهمية حيوية لغالبية الأمة ، ولمستقبل النضال من اجل الاشتراكية . وتستطيع الطبقة العاملة بتوحيدها الجماهير الشعبية الواسعة ان ترد هجوم الرجعية الفاشية ، وتعزز قضية السلام ، والاستقلال الوطني ، وتوسيع الحقوق الديموقراطية ، وتحسين حياة الشعب .

وامكانية هذه المساهمة للجماهير الواسعة في النضال الاقتصـــادي والسياسي يتوقف بدرجة كبيرة على السياسة الصحيحة للطبقة العاملة وحزبها ، وعلى وجود برنامج واقعي ملموس للاعمال المناهضة للاحتكارات قادر على رص فئات المجتمع المختلفة . وهذه هي العناصر الاساسية للبرنامج الديموقراطي العام المناهض للاحتكارات ، وهي عناصر قابلة للتطبيق في كل بلاد رأسمالية تقريباً :

اشاعة الديموقراطية الشاملة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لجميع المؤسسات الادارية ، والسياسية والثقافية ؛

تأميم أهم فروع الاقتصاد ، واشاعة الديموقراطية في ادارتها ؛

تحسين ظروف حياة الشغيلة ؛

الدفاع عن مصالح الفلاحين ، ومصالح البرجوازية الصغيرة والمتوسطة من تعسف الاحتكارات ؛

النضال من اجل الاستقلال الوطني ؛

النضال في سبيل السلام واستخدام جميع الاقتصاد في الاغراض السلمية لتطمين حاجات السكان .

ان تحقيق هذا البرنامج سيكون ذا أهمية هائلة كخطوة مهمة في طريق التقدم الاجتماعي ، وكإنجاز حقيقي يستجيب لمصالح الغالبية الهائلة من الأمة . ومع ذلك فان تحقيق كل مطلب من هذه المطالب ليس هدفاً قائماً بذاته ، والنضال من اجل كل اصلاح ، ومؤسسة ديموقراطية لا ينفصل عن النضال من اجل الاهداف العامة النهائية للطبقة العاملة . وكثير من هذه التحولات مهم ليس فقط بحد ذاته ، بل وقيم بشكل خاص باعتباره صوى في طريق تطور النضال ونقاط الارتكاز للتقدم الابعد الى الامام ، ومراكز انطلاق لمضاعفة القوى الديموقراطية ، وجذب حلفاء جدد ، ورص قوى الطبقة العاملة نفسها . وفي مجرى هذا النضال يجري اعداد الجماهير وتخلق ظروف للمعارك الحاسمة من اجل التطويح بالرأسمالية ، في سبيل انتصار الثورة الاشتراكية . ولهذا فان النضال الديموقراطي العام ضد الاحتكارات لا يفصل الثورة

الاشتراكية ، بل يقربها . والنضال من اجل الديموقراطية جزء مكون للنضال من اجل الاشتراكية .

وقد نضج النظام الرأسمالي العالمي ككل لثورة البروليتاريا الاجتماعية . الا ان الثورة لا تحدث حسب الطلب ، كما لا يجوز فرضها على الشعب من الخارج . انها تنشأ نتيجة لوصول تناقضات الرأسمالية الى اقصى الحدة ، وتقوم بها الطبقة العاملة والجماهير الشعبية الواسعة في ذلك القطر نفسه . ان الثورة ليست مادة للتصدير . وقد كان الماركسيون_اللينينيون ويظلون معارضي الزرع الاصطناعي للاشتراكية .

وتحاول الدعاية الرجعية تخويف الجماهير من الزعم بان انصار الاشتراكية العالمية بحاجة الى الحرب بين الدول للاطاحة بالانظمة الرأسمالية ، وانتصار الثورة الاشتراكية . إلا ذلك افتراء . فان الماركسيين_اللينينيين الحقيقيين لم يروا ابداً ان الطريق الى الثورة الاجتماعية يجري عبر الحرب بين الدول .

ويمكن ان تكون اشكال انتقال الاقطار المختلفة من الرأسمالية الى الاشتراكية متنوعة . وتسعى الطبقة العاملة وطليعتها المنظمة الى تحقيق الثورة الاشتراكية بطريقة سلمية . إذن لكان ذلك ملائماً لمصالح الطبقة العاملة والشعب كله ، والمصالح الوطنية العامة للبلاد .

وقد ازدادت في الظروف الراهنة امكانية الطريق السلمي لتطوير الثورة الاشتراكية . وهذا مرتبط بتعزيز مواقع الاشتراكية العالمية الآن بشكل لا يقاس ، وبتهيؤ تربة لكسب غالبية السكان الى جانب الطبقة العاملة . وتملك الطبقة العاملة في عدد من الاقطار الرأسمالية امكانية توحيد غالبية الشعب والظفر بسلطة الدولة بدون حرب اهلية ، وذلك على اساس الجبهة العمالية والشعبية والاشكال الاخرى للاتفاق والتعاون السياسي بين الاحزاب والمنظمات الاجتماعية المختلفة .

وتملك الطبقة العاملة معتمدة على غالبية الشعب امكانية إلحاق الهزيمة بالقوى الرجعية والمعادية للشعب ، وكسب غالبية ثابتة في البرلمان ، وتحويل البرلمان من اداة برجوازية الى اداة تخدم الشعب العامل . وكل هذا لا يمكن ان تبلغه الا عن طريق خوض نضال طبقي متواصل للعمال وجماهير الفلاحين والطبقات الوسطى ضد الرأسمال الاحتكاري الكبير ، وضد الرجعية .

وترتبط أية مطالب ديموقراطية ومناهضة للاحتكارات بالمهمة العامة للقضاء على السيطرة الاحتكارية . إلا انه لا يمكن حل هذه المهمة دون

هزيمة القوى الرجعية والمعادية للشعب في المجال السياسي ، وفي حقل الدولة ، ودون احراز تحولات جذرية في طبيعة السلطة ، وتغيير الاساس الطبقي للدولة .

يتحدث ايديولوجيو الامبريالية كثيراً عن الحرية والديموقراطية في الاقطار الرأسمالية ، ويظهرون الاوساط البرجوازية الحاكمة كمناهضة لأية دكتاتورية . ويفيضون بالكلام دون نهاية عن موضوع العلاقات بين الفرد والدولة ، الا انهم دائماً يصمتون عن الشيء الرئيسي والمحدّد وهو أية طبقة تحكم في هذه الدولة . في الواقع ان في الاقطار البرجوازية دكتاتورية الرأسمال الاحتكاري ، دكتاتورية الاقلية على الاكثرية ، والرأسمال الاحتكاري لا يشارك احداً بالسلطة السياسية ، ويسعى الى حرمان جميع الطبقات الاخرى ، والتكتلات الاجتماعية من الحقوق السياسية ، والحريات الديموقراطية .

بالطبع ان الرأسمالة الموجودة دائماً تحت ضغط الجماهير قد وضعت ، خلال التاريخ الطويل للمجتمع البرجوازي عدداً كاملاً من المؤسسات الديموقراطية : الحق الانتخابي ، والنظام الجمهوري ، والبرلمان وغير ذلك . وقد كانت هذه كلها في حينها خطوة كبيرة الى

الامام ، وتقدماً تاريخياً بالقياس الى الاقطاعية ، والنظام السياسي للملكية المطلقة . وفي عصرنا يستطيع الحق الانتخابي ، والبرلمان والمؤسسات الديموقراطية الاخرى في ظروف ملائمة ان تجلب فائدة غير قليلة للشغيلة . إلا ان البرجوازية لم ترد من قبل ، ولا الآن ان تسمح باقامة سلطة شعبية حقيقية ، وجذب جماهير الشغيلة والشعب كله الى ادارة شؤون المجتمع والدولة .

وتتحدث الدعاية البرجوازية عن ان النظام الانتخابي في الاقطار الرأسمالية له طابع ديموقراطي . ولكن الاحتكاريين وهم يملكون الرأسمال في ايديهم ، ووسائل جبارة للتأثير على الفلاحين كالصحافة والراديو ، والسينما ، والتلفزيون ، ويملكون في خدمتهم جهازاً سياسياً جباراً يفرضون على الناخبين مرشحيهم . وفي عدد من الاقطار الرأسمالية تعطى للشعب امكانية الاختيار بين المرشحين البرجوازيين . ففي الولايات المتحدة ، مثلاً ، وخلال عشرات عديدة من السنين لا يشترك في الانتخابات في الواقع الا حزبان مرتبطان بالرأسمال الكبير بحيث تتحول الانتخابات نفسها الى مشروع تجاري : مَنْ ينفق فلوساً أكثر على الحملة الانتخابية يكن المنتصر .

وفي بعض الاقطار الرأسمالية الاخرى (فرنسا ، وايطاليا ، الخ . .) يوفق الشغيلة في ادخال مندوبيهم الى البرلمان . وحين ينمو عدد مثل هؤلاء النواب تبدأ الاحتكارات باجراء تغييرات في النظام الانتخابي ، او تزور نتائج الانتخابات غير المفيدة لها .

وحتى البرلمانات المزورة الحالية التي ليس فيها تمثيل عادل لا للطبقة العاملة ولا لطبقات الشعب الكادحة الاخرى تعرقل البرجوازية الاحتكارية أكثر فأكثر . الا ان هذه البرجوازية ليس في مقدورها القضاء كلياً على البرلمان لأن الشعب يقاوم ذلك بحزم ، ولان التعزيز العام لقوى الديموقراطية والتقدم في العالم كله يعيق ذلك . ولهذا « يعيد » الرأسمال الكبير « تشكيل » البرلمان ويحرمه من الحقوق التقليدية ، ويقلل اكثر فاكثر اهمية ودوره في حياة المجتمع ، وبمقابل ذلك يزيد من صلاحيات رؤساء الدول والحكومات ، والسلطة التنفيذية التي هي تمثيل مباشر للاحتكارات . وفي عدد من الاقطار كفرنسا ، مثلاً ، يظهر بوضوح الميل الى اقامة حكم السلطة الفردية لرئيس الدولة .

ان تحويل البرلمان من اداة تخدم المصالح الطبقية للبرجوازية الى اداة تخدم الشعب العامل ،

وتطور نضال طبقي واسع خارج البرلمان ، وتحطيم مقاومـــة القوى الرجعيــة ـ كل ذلك يضمن تحقيق البرنامج الديموقراطي العام والمناهض للاحتكارات وفي نفس الوقت يخلق الظروف الضرورية لتحقيق الثورة الاشتراكية .

إلا ان الطبقة العاملة يجب ان تكون على استعداد لامكانية الانتقال غير السلمي الى الاشتراكية . ان التجربة التاريخية تدل على ان الطبقات السائدة لا تترك السلطة بمحض اختيارها . واذا كانت الطبقات المستغلة تعمد الى العنف ضد الشعب فان الطبقة العاملة ترد القوة بالقوة . ولا تتوقف درجة قوة وشكل النضال الطبقي على البروليتاريا وحدها ، بقدر ما تتوقف على قوة مقاومة المستغلين لارادة الغالبية الساحقة من الشعب ، وعلى استخدام الاوساط الرجعية للعنف في هذه المرحلة او تلك من النضال في سبيل الاشتراكية .

ان الامكانية الحقيقية للطريقة السلمية او غير السلمية للانتقال الى الاشتراكية في كل قطر تتوقف على الظروف التاريخية الواقعية . ويتوقف نجاح نضال عمال الاقطار الرأسمالية على مقدار اتقان القوى الثورية في هذه الاقطار لجميع اشكال النضال

الطبقي – السلمية وغير السلمية – وعلى قدرتها على التراص ، وعلى دفع الطبقة العاملة وشغيلة المدينة والقرية ، وجميع القوى التقدمية في الأمة الى النضال .

والبرجوازية الرجعية بعيدة عن ان تسمح دائماً بقيام الاحزاب السياسية التقدمية الشعبية حقاً . وهكذا في عام ١٩٥٦ أعلن في المانيا الغربية ان الحزب الشيوعي خارج القانون . وفي هذه البلاد جرت مئات الآلاف من المحاكمات السياسية ، وحكم على اكثر من مليون مواطن بالسجن او بالغرامة بسبب نضالهم ضد العسكرية او اتباع النازية . وفي عام ١٩٦١ في الولايات المتحدة الامريكية منع في الواقع نشاط الحزب الشيوعي ، وجميع المنظمات التقدمية الباقية في هذه البلاد تقريباً . وفي اكثر من ٣٠ قطراً رأسمالياً توجد الاحزاب الشيوعية بشكل غير شرعي مضطرة الى العمل سراً .

وتشن البرجوازية الامبريالية نضالاً ليس ضد الشيوعيين فقط ، بل هي تلاحق جميع المنظمات التقدمية العاملة من اجل السلام والديموقراطية ، وفي سبيل المصالح الجذريـــة للشغيلة . وفي نفس الوقت تسمح راضية بالنشاط المكشوف للمنظمات الفاشية التي تخوض نضالاً ضد الشغيلة . ويساند

امبرياليو اقطار الكتلة الاطلسية الشمالية الدكتاتوريتين الفاشيتين في اسبانيا والبرتغال وهما الحصن الاخير للنظام الاستعماري القديم في افريقيا ، وكذلك النظم الارهابية القرقوزية الامريكية في الفيتنام الجنوبية وكوريا الجنوبية وغيرهما من الدول التابعة .

وتقف الاحزاب الشيوعية والعمالية على رأس النضال الثوري للشغيلة . والشيوعيون مخلصون للمثل الوطنية والاجتماعية المتقدمة لشعوبهم ، وللانسانية التقدمية كلها ؛ للحرية الوطنية والاجتماعية ، والمساواة ، والاخوة ، والسلام ، وسعادة الشعوب .

وتنمو قوى الحركة الشيوعية ، في عام ١٩٣٩ ، عشية الحرب العالمية الثانية كان في العالم ٤٣ حزباً شيوعياً فيها اكثر من ٤ ملايين و ٢٠٠ الف شيوعي . اما الآن فيوجد زهاء ٩٠ حزباً شيوعياً تضم في صفوفها اكثر من ٤٢ مليون شيوعي .

وقد تحولت الحركة الشيوعية العالمية الى اكبر قوة مؤثرة في زمننا ، وأصبحت أهم عامل للتقدم الاجتماعي .

ان الاحزاب الشيوعية في الاقطار الرأسمالية وهي تقود نضال البروليتاريا الثورية تربي وتنظم جماهير الشغيلة الواسعة . ويعمل شيوعيو هذه

الاقطار في ظروف صعبة . ولكنهم بالرغم من المصاعب الهائلة ، والملاحقات البوليسية يناضلون ببسالة من اجل الحقوق الاجتماعية للشغيلة . ويهبون كل قواهم لقضية تحرر الطبقة العاملة ، وتحرر الانسانية كلها .

خاتمة

ان معاصرينا يعيشون في عصر تتحول فيه مُثُل الانسانية الرفيعة من سماء الاحلام والحكايات الى ارض الواقع . ونحن نرى اليوم بأي طريق يمكن الوصول الى مستقبل سعيد للبشرية كلها . ونرى انه يتحقق ، ويبنى بجهودنا الخاصة . وكلما تشتد هذه الجهود وتنظم اكثر وتصبح اكثر وعياً ينظف العالم بوقت اسرع من العداء القديم القذر ، ومن الاستغلال والعنف . وهذا الوعي ينتشر ، ويستولي على ملايين جديدة وجديدة من الناس . وهو يلهب القلوب ، ويولد طاقة لا تغلب ، وتفانياً .

ان الناس بحاجة الى مجتمع بلا حروب ولا عداء بين الشعوب . ونحن نعرف كيف يحرز ذلك : لاحراز ذلك يجب القضاء على سبب الحروب والعداء ــ الملكية

الخاصة المستغلة ، القضاء على الامبريالية ـ الصورة القصوى لهذه الملكية .

ان تحرر الانسانية من أي استغلال يحرر الامم ايضاً ، ويخلق الظروف للتطور الأكثر كمالاً ، والأكثر عافية لكل أمة وفي صالح البشرية كلها .

والناس بحاجة الى مجتمع بلا بؤس ولا فقر وعمل قسري ، بلا ظلم اجتماعي ، بلا جور سياسي او قومي او اي جور آخر . وهم بحاجة الى علاقات بين الناس قائمة على الاحترام المتبـادل والتعاون والاخوة ، لا على صراع فظ من اجل البقاء الفردي او التكتلي او القومي المنفرد بذاته . وهذا المجتمع هو الاشتراكية ـ مجتمع المساواة ، والتعاونية ، والحرية ، والعمل الخلاق .

والطريق الى هذا المجتمع ليس سهلاً ولا بسيطاً ، ففيه تقف عقبات كثيرة اقامتها قوى القديم ، قوى الشر والخديعة . الا ان قوى الجديد ، قوى الخير والصدق قد بلغت الرجحان على القوى الشائخة .

واليوم ما يزال العالم القديم يحتفظ بمواقع كبيرة . وهو ما يزال يخدع ملايين عديدة من الناس غارساً فيهم فكرة حتمية وضرورة الانظمة الاستغلالية ، وجاعلاً هذه الملايين تساند وتدافع عن مضطهديها .

وما يزال العالم القديم يستغل جهل وتأخر ملايين كثيرة – الجهل والتأخر اللذين يخلقهما هو ويحافظ عليهما . وهو يستفيد من عدم مبالاة وتعب ملايين اخرى لم تع بعد مصالحها ولم تر اهدافها .

إلا ان الاشتراكية تجذب في آخر المطاف جميع هذه الملايين الى جانبهـــا ، وتجذبهم حتمـــاً لان الاشتراكية تلائم المصالح الحيوية لجميع الشغيلة . والحياة نفسها ترسل فصائل جديدة وجديدة للانسانية في طريق النضال في سبيل الاشتراكية .

ان المستقبل يعود للشعب العامل . وستنتصر الاشتراكية !

محتويات

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب وترجمته ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفـــار ، ٢١ ،
موسكو ــ الاتحاد السوفييتي



Л. Минаев, Л. Федоров

НАРОДЫ МИРА В БОРЬБЕ ЗА СОЦИАЛИЗМ

На арабском языке